
كريستيان شيسنو
جورج مـالبريـنـو
في بلاط آل سعود
قصص وحكايات
منظمة الطليعة العربية في تونس
أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة
لا تراجع بل خطوة الى الأمام
منشورات 2018 الطليعـة

قصص وحكايات في بلاط آل سعود

تبدو عروش الخليج، لمن يراها من الخارج، عالماً شبيهاً بالصحراء التي تحيط بهم جامداً لا يتزحزح، حيث القاعدة الأساسية هي اللامبالاة السياسية والاجتماعية. لم تهب رياح الربيع العربي فوق شبه الجزيرة العربية، اللهم باستثناء البحرين واليمن. لقد اشترى أمراء الخليج، خلال عقود خلت، السلام الاجتماعي بأموالهم الطائلة من البترودولار والغاز. من الحري القول بأن المجتمعات المحلية في هذه البلدان مؤمنة بدخل مدى الحياة سواء أكان في الإدارات أم في شركات القطاع العام. لذلك يبقى حلم هؤلاء هو المحافظة على كرم الدولة الإلهية، لا الانقلاب عليها.

استجوب وزير الخارجية الفرنسي آلان جوبيه السفير الفرنسي في الرياض برتران بوزاستنو، خلال محاضرة كان هذا الأخير يلقيها في معهد العالم العربي بباريس بشهر نيسان ٢٠١١، متسائلاً: «متى سيحصل الربيع العربي في العربية السعودية؟» وكان جواب الدبلوماسي: «سيدي الوزير، لماذا تود أن يكون هناك ربيعٌ في بلد صيفها دائم؟». وجد الوزير نفسه مرغماً، بعد سنتين من هذا اللقاء، على الاعتراف بأن السفير كان محقاً.

ما يجعل هذه المجتمعات متماسكة عوامل ثلاثة وهي البترودولار، والعشائر، والإسلام، وتساهم هذه العوامل في تأمين الاستقرار السياسي والاجتماعي.

إن بدو الخليج ممزقون اليوم، في مواجهة العولمة، بين التمسك واحترام عاداتهم وتقاليدهم السرمدية والتطلعات إلى عالم الحداثة. انعكس هذا التمزق على الحياة اليومية وكانت النتيجة صدام ثقافي موجع بانتظار الفصام.

السعودية أو مجمع القلعة المحاصرة

«الدين ليس فقط حاضراً في كل مكان في السعودية، بلد الاستمرارية والأبدية، بل الدين هو كل شيء، هذا ما قاله عيسى مارو، القنصل السابق في جدة وأضاف لا وجود للزمن في المملكة» فمنذ عصور وإيقاع الصلوات الخمس هو الذي تنتظم حياة السعوديين اليومية عليه.

أليس العلم السعودي يأتي ليذكر السعوديين بمهامهم نحو الإسلام الذي يشكل هويتهم الدينية، كيف لا و تزين هذا العلم عبارة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) المدقوقة فوق السيف.

مما يجدر ذكره هو أن السعودية، ومنذ عدة عقود خلت، لم تكن بلداً رجعياً ولا أصولياً على الشكل الذي هي عليه الآن. كانت جدة ومكة تحتضنان دوراً للسينما في سنوات ١٩٥٠-١٩٦٠. وكان يوجد مدارس مختلطة، كما كانت النساء الغربيات تستطيع التجوال في جدة بدون ارتداء العباءة.

حصل الانعطاف عام ١٩٧٩، مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ومع استيلاء الأصوليين السعوديين على الجامع الكبير في مكة الذي يحتجون به على شرعية عائلة آل سعود. اكتشف القادة السعوديون حينئذ، أن أعداءهم الداخليين لا يترددون في ارتكاب الفظائع، بعد استيلائهم على الأماكن الإسلامية المقدسة التي يفترض أن تقوم السلالة السعودية بحمايتها.

انعتق المارِدُ الفارسي الشيعي من مكمنه في إيران، وذلك بوصول آية الله الخميني إلى سدة السلطة الإيرانية، والذي وعد بتصدير ثورته إلى كافة أرجاء المنطقة، خاصة إلى جارته السعودية التي تؤوي أقلية شيعية متمركزة في الشرق الذي توجدُ فيه آبار البترول. أُصيبت المملكة الوهابية بالتكزز من جراء تلازم هاتين الحادثتين، مما جعلها تنغلق على ذاتها. وتعتبر نفسها، منذ ذلك الوقت، قلعة محاصرة بين عدوّينخطرين، فمن جهة أعداء الداخل (الجهاديين)، ومن جهة أعداء الخارج (الإيرانيين).

تنظر القيادة السعودية إلى هذين الخطرين على أنهما الخطران الرئيسيان بالنسبة لها. منح الملوك السعوديون أنفسهم لقب «خادم الحرمين الشريفين»، وذلك بهدف ترشيح شرعية دينية هي مثار خلاف. الحرمان الشريفان في الإسلام هما مكة المكرمة والمدينة المنورة التي يحرم دخول غير المسلمين إليهما[1].

إن جميع الأراضي السعودية مقدسة، ويُنظر إليها كجامع ضخم. جميع العبادات الأخرى محظورة في بلاد الله[2]، ولا يسمح بإظهار أية إشارة ترمز لدين غير الإسلام علناً، إلى درجة أن بعض المتدينين ذهبوا إلى حد الاعتراض على رفع أعلام سويسرا والدانمرك فوق سفارتيهما في الحي الدبلوماسي في الرياض لأنهما يحتويان على صليب ... عبثاً[3].

---

(١) لا يوجد أي تبرير ديني لمنع غير المسلمين من دخول مكة والمدينة، هذا ما أكده العالم المختص بالدين الإسلامي غالب بن شيخ.

(٢) بالنسبة لمفتي السعودية الكبير، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله: «يجب تدمير جميع الكنائس في كل المنطقة» وهو يرى أن إزالة هذه الكنائس هي انسجام مع القواعد العريقة التي تقتضي بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يجب ممارسته في شبه الجزيرة العربية. لاكروا– ٢٩ أيلول ٢٠١٣

(٣) العربية السعودية – المحتوم، جاك جوسلين بول، دار ريفنوف، ٢٠١٦.

توجد حياة رعوية، في جدة، وفي المناطق الشرقية النفطية، منظمة بشكل لا بأس به مع مراعاة الحدود، هذا ما صرح به النسينور بول هيندر، النائب البابوي في الإمارات، وعمان، واليمن. إلا أن هنا شكوى من قلة الحماية. يقول النائب البابوي: «عندما كنت أدير قداساً دينياً سرياً في الرياض، كان يتوفر شكلٌ من أشكال الخدمة الأمنية بحيث يقتصر دور عنصر الأمن على تنبيهنا عند وصول الشرطة الدينية».

لقد تم انتشار هذه الميليشيا الإسلامية، في ثمانينيات القرن الماضي، لحماية الأصولية الوهابية. وقد انتظمت هذه الميليشيات في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أوكل إلى جنود الإيمان، المطوعين، مهمة احترام مبادئ إسلام متشدد في كل ما يتعلق بالحياة اليومية.

تم توزيعهم على أكثر من أربعمئة وخمسين ثكنة، ويتجاوز عددهم الأربعة آلاف، ينحدرون، في معظم الأحيان، من طبقات فقيرة. يرتدون ثوباً أبيض قصيراً نوعاً ما لسهولة الركض. يمكن التعرف عليهم بسهولة من خلال ذقونهم الطويلة ورؤوسهم المغطاة بكوفيه بدون العقال (العكال) التقليدي. عند الالتقاء بهم وهم يتجولون في المدينة، يظهرون تباهياً وتلوح على وجوههم علامات الشك والعدوانية[1].

يطوف جنود الأمن الأخلاقي، على متن سيارات ٤×٤، في أرجاء المدن، أحياناً يرافقهم عناصر من الشرطة، مسلحين بخيزرانات، لا ينفكون عن دفع المارة للذهاب إلى الجوامع، ويتحققون من أن جميع المطاعم قد أغلقت أبوابها في أوقات الصلاة. المطوعون ليسوا مخولين، نظرياً، بالدخول إلى الحي الدبلوماسي في الرياض، وبهذا الخصوص روى لنا دبلوماسي فرنسي الطرفة التالية: « جلست، ذات يوم وقبل لحظات من بدء الصلاة، على طاولة في مطعم يقع في الحي الدبلوماسي. أخبرني القائمون على الخدمة

---

(١) تعني حرفياً «أولئك الذين يتطوعون ويطيعون».

في المطعم، والذين سمحوا لي بالدخول، قائلين لي إنهم لا يستطيعون تقديم الطعام لي في الحال، وعلي الانتظار لمدة نصف ساعة، ثم أطفؤوا الأنوار وأغلقوا باب المطبخ. اعتذروا عن هذا الإجراء شارحين أنه في مرة سابقة أدخلوا زبائن إلى المطعم في وقت الصلاة وما هي إلا لحظات حتى هبط رجال الشرطة الدينية فجأة في المطعم!».

تمارس ميليشيا الله أيضاً الرقابة على الكتب والصحافة. فكان مثلاً على معهد الأليانس فرانسيز، الذي يقع في الحي الدبلوماسي في الرياض، اتخاذ تدابير احترازية في المكتبة لتجنب المشاكل. فبعض الكتب، مثل كتاب (الجنس الآخر) لمؤلفته سيمون دو بوفوار، لا يمكن عرضها للبيع. ومن يرغب باستعارة مثل هكذا كتب عليه أن يستخدم شيئاً من التملق. يلقى أيضاً على عاتق هؤلاء المتحمسين مسؤولية التطبيق الصارم للفصل الجنسي في الأماكن العامة. إنهم يقومون بمسح المراكز التجارية مسحاً كاملاً، لذلك قلما تجد مكاناً يستطيع فيه الشبان والشابات الالتقاء، وربما يقتنصون فرصة لتبادل أرقام الهواتف المحمولة ليس أكثر. فلدى عناصر هذه الشرطة الصلاحية بالدخول حتى إلى دور خاصة إذا ما كان لديهم شك بوجود اختلاط «مناف للأخلاق»، أو وجود مشروبات كحولية، أو حتى عزف على الموسيقا.

عيون المطوعين أيضاً لا تغفل عن عالم العمل. ويشرح مغترب فرنسي يعمل في السعودية: «يوجد بين موظفينا في المكتب لبنانية تعمل مع مواطن مصري في المحاسبة، الأمر الذي يعتبر من حيث المبدأ ممنوعاً. اقترحنا حلاً إسعافياً وقائياً في حال مباغتة الشرطة الدينية. أحدثنا مكتباً لا يعمل به إلا نساءٌ، وفي لحظة المباغتة تنضم المحاسبة اللبنانية إليه بسرعة فائقة لكي تسير الأمور سيراً طبيعياً ريثما تغادر الدورية.

تعتبر النساء أهدافاً مميزة للبوليس الديني شديد التمسك بالقواعد والحريص على الشكليات خاصة فيما يتعلق بالمظهر الخارجي للنساء. يمكن

لامرأة لا تضع الحجاب بشكل تام، أو ترتدي ثياباً تراها الشرطة الدينية غير محتشمة أن تقع ضحية صراخ حقود من قبل المطوعين، دون التمييز بأن تكون هذه المرأة سعودية أو غير سعودية. لكن تم وضع حد لكل التجاوزات، في عهد الملك عبد الله (مابين ١٩٩٥ و ٢٠١٥)، فقد تم توجيه تحذيرات شديدة القسوة للمطوعين وكبح جماحهم وعلق تجنيد متطوعين جدد.

ومع بداية عهد سلمان، أراد المطوعون اختبار العاهل الجديد، الذي، بدوره، أعاد ضبط تحركاتهم. تم تصوير بعض التجاوزات التي قاموا بها، وانتشرت على مواقع الانترنيت. ففي شباط عام ٢٠١٦، انتشر فيديو يظهر عنصرين من الشرطة الدينية يطاردان فتاتين، قبل أن يوسعا إحداهما ضرباً ولكماً، والذي أثار موجة عارمة من الاستنكار على شبكات التواصل الاجتماعي. تمت إقالة رئيس المطوعين في الرياض على إثر ذلك، بعد أسبوع من نشر الفيديو، وأصدر القصر الملكي أمراً يقضي بمنع شن غارات على الأماكن الخاصة، كما لم يعد بإمكان المطوعين التحقيق مع مشتبهين، أو القيام بالتحقق من الهوية. قام نائب ولي العهد، محمد بن سلمان، بدفع مبالغ كبيرة إلى الشرطة الدينية من أجل تهدئة خواطر جماعاتهم.

لا تملك السعودية قانون جزاء. تقرر الأحكام بحد السيف، وذلك طبقاً لترجمة حرفية للشريعة. وتحتل السعودية المرتبة الثالثة، بعد الصين وإيران، من حيث عدد المحكومين بالإعدام بالعالم، ومن الجدير بالذكر أن معظم أحكام الإعدام تنفذ بقطع الرؤوس[1]. تم تحطيم الرقم القياسي، عام ٢٠١٥، حيث ارتفع عدد أحكام الإعدام إلى مئة وثلاثة وخمسين حكماً، وهذا لم يحصل منذ عشرين عاماً.

---

(١) تستخدم المملكة العربية السعودية أيضاً فصائل تنفيذ الإعدام، وهذا ما حصل في الثاني من كانون الثاني عام ٢٠١٧، عندما تم إعدام سبع وأربعين متهماً، ومن بينهم الشيخ الشيعي السعودي نمر باقر النمر.

لجأت السلطات السعودية إلى الإعلانات الصغيرة من أجل تجنيد ثمانية جلادين، وذلك بعد أن فقد الجلاد الأصلي ذراعيه ولم يعد بإمكانه تنفيذ هذه المهمة المرعبة[1].

الجرائم التي تستحق الإعدام هي الإرهاب، والقتل، والاغتصاب، والسرقة باستخدام السلاح، كما يحكم بالإعدام على المرتدين، وعلى المشعوذين، وعلى من يرتكبون الزنا. تجرى المحاكمات، في معظم الأحيان، بشكل سري كامل. وقلما يتاح للمتهمين الاستعانة بمحامي، أو بمترجم في حال كان المتهم أجنبياً. تستغل السلطات السعودية هذه المحاكمات المغلقة لتصفية معارضيها جسدياً[2]. يتم قطع اليد اليمنى، في حالات السرقات الصغيرة، ولكن يمكن للقاضي أن يأمر «ببتر متصالب» اليد اليمنى مع القدم اليسرى.

تجرى عمليات قطع الرؤوس في اجتماعات عامة، وذلك بهدف استخدامها كعامل مؤثر على العقول، من أجل ردع مجرمين محتملين في المستقبل. يتم، بشكل عام، إخبار الأسر بموت أحد أقربائهم عن طريق الصحف بعد تنفيذ الأحكام[3]. يمارس الجلادون السعوديون أيضاً حكم الإعدام عن طريق الصلب، ولكن على نحو قليل. تجري الأمور بقطع رأس المحكوم، ويوضع الرأس في كيس بلاستيك، ثم يوضع فوق جسده المربوط فوق عامود على مرأى الجميع، ويستمر عرضه لعدة أيام، حتى تتفسخ

---

(١) أعلنت السعودية في وسائل الإعلام حاجتها لثمانية جلادين جدد – لاغارديان – ١٨ أيار ٢٠١٥.

(٢) تمت تصفية عشرين شخصاً على الأقل من بين أولئك الذين شاركوا في مظاهرات بالمنطقة الشرقية عام ٢٠١١. هذا ما أوردته منظمة العفو الدولية

(٣) ذبح باسم العدالة، تقرير منظمة العفو الدولية حول حكم الإعدام في المملكة العربية السعودية، آب ٢٠١٥

الجثة. «لقد حضرت مشهداً من هذا العذاب العظيم، يقول أحد المغتربين الفرنسيين. كان ذلك في عام ٢٠٠٤، وهو مشهد لمراهق كان قد قتل أمه وسلبها مجوهراتها. قُطع رأسه وتم صلبه في الساحة العامة للقرية. كان ذلك في شهر آب اللهاب، وبقيت جثته معروضةً لمدة أسبوع حيث كان الجو حاراً جداً».

تضم ترسانة العدالة السعودية القمعية أيضاً حفلات الجلد، التي تمنع استعمالها الاتفاقيات الدولية. تم تخفيف حكم المدون رائف بدوي، الذي صدر بحقه حكمٌ بالإعدام بتهمة الردة عام ٢٠١٤، إلى عشر سنوات بالسجن وألف جلدة ومليون ريال غرامة (حوالي مئتين وخمسين ألف يورو) ما هي جريمته؟ إنها محاولة، بحسب ما كتب، «لهدم جدران الجهل، ولتفتيت حرمة رجال الدين، ومحاولة زرع نواة للمعارضة، واحترام حرية التعبير، وحقوق المرأة، وحقوق الأقليات والمقيمين في السعودية»[1].

وقد تلقى رائف بدوي، الذي أثارت حالته سخطاً دولياً، خمسين جلدة في ساحة عامة بمدينة جدة.

في بلاط آل سعود

السعودية إذن هي إقطاعة لعائلة آل سعود، التي تعيش في قصور فارهة.

عمل رفيق الحريري، رجل الأعمال اللبناني السعودي الذي اغتيل عام ٢٠٠٥ في بيروت، كبير مهندسي ملوك وأمراء السعودية لفترة طويلة من

(١) سأجلد ألف جلدة لأنني تجرأت على القول بحرية، رائف بدوي، دار طباعة كيرو، ٢٠١٥.

الزمن. تعود بداية مسيرة الحريري وثروته إلى عام ١٩٧٧، حينما طلب منه الملك خالد بناء قصر في الطائف، حيث أنجزه بأقل من ستة أشهر، وهو رقم قياسي، مما أكسبه ثقة وعرفان البلاط السعودي. ضاعف رفيق الحريري، عبر شركته سعودي أوجيه، مشاريعه في المملكة. استطاع الحريري، بعد احتلال الكويت من قبل جيش صدام حسين عام ١٩٩٠، إقناع الملك فهد بضرورة بناء قصور تحت الأرض درءاً لخطر اجتياح قد يقوم به ديكتاتور العراق. «قمنا ببناء ثلاثة قصور تحت الأرض وهي عبارة عن ثلاثة أبنية متداخلة، هذا ما كشفه المدير السابق للمشاريع في شركة سعودي أوجيه، برنارد توليه، الذي أوضح أن القصر الأول مقاوم لهجمات نووية، في حين أن القصر الثاني مقاوم لهجوم بكتيري، والثالث مقاوم للغازات الكيميائية. إن جميع هذه القصور مطمورة على عمق خمسة عشر متراً تحت الأرض في محيط الرياض وبمساحة تقدر بستة آلاف متر مربع لكل قصر. تمت تغطية جميع تلك القصور ببلاط من الإسمنت مغطى بدوره بالعشب بشكل لا يستطيع أحد من الخارج تمييز أي شيء». استغرق بناء هذه القصور مدة عامين، شارك في إنجاز هذا العمل أكثر من ألف عامل. «تمت زخرفة القصور ببذخ لا يصدق، أسقف مطلية بالذهب الصافي، أوضح برنارد توليه. طلب الملك فهد أن يكون الأثاث موديل لويس السادس عشر، والبورسلان من ليموج، والكريستال من بكارا. لا أحد يعلم ما هي كلفة هذا النوع من القصور، وذلك بسبب الأعمال الإضافية التي لم تكن ملحوظة في البداية. فكانت مبالغ الكشوف تضرب بثلاثة أو أربعة أمثال. فكانت الهوامش واسعة بشكل لا مثيل له في العالم! والنتيجة كانت، أن القدر لم يُتِح للملك فهد قضاء ولو ليلة واحدة في هذه القصور. يا لها من ورطة جسيمة!».

إن المكان الأكثر أهمية استراتيجية في البلاط السعودي هو مكتب الديوان الملكي، أي المكتب الخاص للملك. يعتبر مدير هذا المكتب واحداً من أقوى الشخصيات في المملكة. إنه الوزير الكبير في العصور الحديثة، هو

الذي ينتقي ويراقب الدخول إلى الملك، وهو الذي يدير مواعيده. يشكل البلاط السعودي كوناً سرياً محكوماً بتقاليد سرمدية.

تخضع أساليب إلقاء التحية إلى نظام محدود ودقيق. تعكس احتفالية العناق رمزياً تدرج المراتب بين الأمراء في المناسبات البروتوكولية: تقبيل جوف الكتف يعني الخضوع، التقبيل على الأنف ثلاث مرات يعني علاقة قربى ومساواة في المرتبة، في حين أن تقبيل الجبهة يعني الاحترام للأكبر سناً.

يبلغ عدد المنحدرين من سلالة الملك عبد العزيز بن سعود اليوم سبعمئة وتسعة وستين أميراً، وسبعمئة وثماني وثلاثين أميرة[1]. لكن العائلة المالكة لا تتحدد فقط بهذه النواة الأنقى من السلالة. فعندما نتوسع إلى فروع وأفخاذ أخرى، سنصل إلى الرقم أربعة آلاف أمير وأميرة، حتى إنَّ بعض المختصين يقدمون رقماً إجمالياً يتجاوز العشرين ألف سليل من العائلة المالكة.

عندما يرى النور رضيعٌ من آل سعود، هو بالضرورة لا يخضع لما يخضع له عامة الشعب، فهو لن يفتأ طوال حياته من تكديس الامتيازات. لأن كل فرد من العائلة المالكة يقبض منحة شهرية، تشرف على توزيعها إدارة المقررات و القواعد في وزارة المالية. يختلف مبلغ المنحة تبعاً للمرتبة ولعمر الأمير. وإذا ما قمنا بعملية حسابية يمكننا القول إن معدل دخل الفرد الواحد من الأسرة المالكة وسطياً في السنة يبلغ حوالي مئة ألف دولار، يمكن أن يرتفع، في بعض الحالات، إلى مئتين وسبعين ألف دولار للأفراد الأكثر أهمية، في حين يصل المبلغ الذي يتقاضاه أفراد الفروع البعيدة إلى أقل من ألف دولار.

كشفت برقية دبلوماسية من السفارة الأمريكية في الرياض بتاريخ ١٩٩٦، نشرت من قبل ويكيليكس، أن المنح المخصصة للأمراء تمثل ٥%

---

(١) المملكة العربية السعودية – المحتوم، جاك جوسلين بول، ريفنوف، ٢٠١٦.

من ميزانية الدولة السعودية، أي ما يعادل مبلغ أربعة مليارات دولار. ولكن ومنذ وصول الملك سلمان إلى العرش عام ٢٠١٥، شهدت هذه المنح تخفيضاً، ومما لا شك فيه أن هبوط أسعار البترول لعب دوراً في اتخاذ هذه الإجراءات.

إن الهدف الوحيد للأمراء في حياتهم هو أن ينجبوا أكبر عدد ممكن من الأبناء، وذلك كي يكسبوا الحد الأعلى من المال ولكي تكبر ذريتهم. لذلك يقبض الأمير، عندما يتزوج، «علاوة». ويوضع بتعرفة بطاقة خاصة تسمح له بالمعالجة مجاناً في الخارج. حيث يوجد في كل سفارة سعودية مكتبٌ طبيٌّ يتابع استشفاء أي أمير من الألف إلى الياء ويسدد الفواتير[1].

لا تمثل المنحة الشهرية جزءاً صغيراً مما يقبضونه حقيقة. فهم يعتبرون أنفسهم مالكي المملكة التي تحمل اسمهم، لذلك من الطبيعي، بالنسبة لهم، استغلال مواردها جميعاً. تتربع خمس أو ست شخصيات أكثر أهمية منهم على مداخيل يومية تقدر بمليون برميل نفط خام من أصل تسعة أو عشرة ملايين برميل في اليوم من الإنتاج الوطني. أضف إلى ذلك أنه يتم توزيع أراضٍ على الأمراء ليبيعوها بأسعار من الذهب للمشاريع العقارية.

وفيما يتعلق بالحياة اليومية للأمراء، فهم لا يسددون فواتير الكهرباء، ولا فواتير المياه، ولا فواتير الهواتف. بطاقات الطائرة لتنقلاتهم ورحلاتهم مجانية، ويتحمل القصر الملكي ليس فقط بطاقات الطائرة، بل أيضاً يقوم بحجز غرفهم في الفنادق الفارهة في جميع أنحاء العالم. لا يعرف الأمراء السعوديون الأرباح الصغيرة، وذلك باعتبارهم يقبضون على كل عملية مئة دولار تدخل إلى جيوب الأمير، ويجب مضاعفة هذا المبلغ بآلاف المرات فاحسب رعاك الله. يقوم الأمراء أيضاً، في دواوينهم، بعقد صفقات تجارية

---

(١) بلغت الديون المترتبة على المملكة العربية السعودية عام ٢٠١٥ ثلاثة مليارات وسبعمئة مليون يورو لم تُسدد إلى مشافي باريس. لوباريزيان

مستغلين نفوذهم بالإسراع وتسهيل توقيع عقود. ويتقاطر رجال الأعمال على أبواب الأمراء ليحظوا بمقابلة أحد أمراء الصف الأول أصحاب القرار في العائلة المالكة. حتى إنّ بعض هؤلاء الأمراء بلغوا شأنا كبيراً مثل الأمير وليد بن طلال الذي دخل عداد ملوك المال في العالم.

يستقبل الأمير وليد، كل مساء خميس، زواره مرتدياً بنطال جينز في مزرعته التي تقع على بعد خمسين كيلو متر جنوب الرياض. يحب رياضة المشي محاطاً بثلاثة حراس شخصيين لا تفارق عيناه شاشة هاتفه المحمول التي يتابع من عليها تطورات البورصة. وبينما كان، ذات مساء، برفقة أحد مؤلفي هذا الكتاب في نزهته الليلية، اغتاظ الأمير وليد ابن طلال لأنه علم أن ترتيبه بين أثرياء العالم انخفض من المرتبة السادسة عشرة إلى المرتبة السادسة والعشرين، بحسب التصنيف الذي أوردته مجلة فوبيس. يحتوي مقر إقامته الصحراوي على عشرات الشاشات التلفزيونية موصولة على قناة CNBC، وهي القناة المختصة بشؤون البورصة . بدأ البدو بالتوافد إلى دارة الوليد، عند نهاية السهرة، أسراباً أسراباً لتقديم التحية والولاء عبر معانقته على كتفه اليمنى وهي إشارة ترمز للخضوع. مقابل ذلك يقوم الأمير بدس قطعة من النقود بيد المعانق. يأتي هؤلاء الرجال إما طلباً للمساعدة لمريض قريب في الدخول إلى مشفى وعلاجه، وإما طلباً لنصيحة في مجال الأعمال، وإما طلباً لدعم من أجل الحصول على وظيفة في الإدارة.

ومن جهة أخرى، ينشط جيش من الملحقات الصحفيات، العاملات في مكاتبه، بالبرج الملكي (كينغ دوم تور)، وهو البرج الأعلى في الرياض، في نشر أخبار الوليد، وتلميع صورته في الإعلام، وهذا ما يحبه الأمير وليد بالإضافة لحبه للمال ، هذا ما دونه في تقرير أحد السفراء الغربيين في الرياض.

يعشق الأمير وليد أن يتوج بميداليات وأن يُكرّم. تحولت، مثلاً، بنغلاديش غداة تكريم له إلى بلد محبوب. يروق له ذلك كثيراً، وهذا ما يدعو للابتسامة في المملكة.

مجرمـو الصحـراء

يا له من رياء، قول أنت تملكنا! يقوم بعض الأمراء بعمليات تهريب الكحول ويسيطرون على السوق السوداء في المملكة، وذلك من أجل المحافظة على مستوى من الحياة الباذخة والمترفة، يستخدم الكابونيو (مجرمو) الصحراء طائراتهم النفاثة الخاصة المجهزة بحوضين أرضيين. يخصص للأمراء في مطارات المملكة، قاعات شرف VIP خاصة بهم، ولا يتجرأ أي عنصر من عناصر الجمارك على تفتيش أمتعة الأمراء عند عودتهم من الخارج.

«تحط الطائرات الخاصة التي تقل على متنها الأثرياء أو الأمراء السعوديين في مطار بورجيه، حيث يكون بانتظارهم سيارة ليموزين لتقلهم إلى الفندق، هذا ما أكده مدير أحد الفنادق الفخمة في باريس، مضيفاً، وفور وصولهم يقومون بطلب صناديق من النبيذ والويسكي لأخذها معهم عند عودتهم إلى السعودية».

إن تهريب الكحول تجارة مربحة جداً. تُباع زجاجة الويسكي في السعودية بعشرة أضعاف ثمنها: فمثلاً ثمن زجاجة الويسكي عند شرائها يكون ثلاثين يورو، تباع في المملكة بثلاثمئة يورو. تنفق زجاجة البلاك ليبل بألف وخمسمئة ريال سعودي، أي ما يعادل ثلاثمئة وخمسة وسبعين يورو. وذلك مع أن القرآن الكريم لا يمنع بيع الكحول إنما يمنع الثمالة، لأنه في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كان يُصنع الخمر من النخيل في مكة، لكن التفسير الوهابي هو الذي منع اقتناء واستهلاك الخمر[1].

المسافة شاسعة جداً بين الأخلاق الدينية المفروضة على عامة الشعب في المملكة، وبين سلوك الأمراء.

---

(١) قام الجيش الفرنسي، خلال تواجده على الأراضي السعودية أثناء حرب الخليج الأولى ١٩٩٠، بإعادة تأهيل عبوات الشامبو لتعبئتها بالفودكا و الويسكي.

يتدفق الخمر في السهرات المجتمعية بالسعودية، وذلك على الرغم من الصورة الدينية المعلنة عن السلطة. «يحرص الأمراء على عدم تناول الخمر في العلن، هذا ما يؤكده دبلوماسي فرنسي أوضح أن الأمراء الذين يحضرون حفلات عشاء القنصلية الفرنسية في جدة لا يتناولون إطلاقاً الكحول». يقول جميع المغتربين الأجانب في السعودية إن جدة والرياض تزخران بأكبر المخازن (الكهوف) المملوءة بالأنواع الفخمة من نبيذ بوردو ومن الويسكي. «أمضيت سهرة عيد رأس السنة بضيافة خالد التويجري، المدير السابق لمكتب الملك عبد الله، لقد صُعقت، يروي رجل أعمال فرنسي وهو منذهل، عندما رأيت حائطاً مغطى بشكل كامل بما لذ وطاب من أنواع الويسكي».

يطلق الأمراء العنان لأنفسهم في فناءات قصورهم بشتى أنواع الاحتفالات، حتى إنهم ينظمون احتفالات بعيد القديسين (Halloween sashes)، هذا ما كشفته برقية دبلوماسية أمريكية تم نشرها من قبل ويكيليكس. ويصف القنصل الأمريكي، إحدى تلك الليالي الملاح التي حضرها في جدة، بأنها ليلة من الليالي الحمراء التي يتخللها «الجنس والمخدرات والروك أندرول»، حيث يتمايل على حلبة الرقص أكثر من مئة شاب وشابة وهم يتخلوعون برقص مثير تحت تأثير الكحول والمخدرات. إضافة إلى ذلك فقد تم إحضار عدد من فتيات الليل (عاهرات) لإضفاء البهجة على السهرة.

توضح سجلات الجمارك في المطارات السعودية أن عقوبة أي شخص يُضبط معه مخدرات هي الإعدام. لكن لم تمنع هذه التحذيرات بعض أمراء المملكة من أن يكونوا مهربين! فقد أُوقف أحد هؤلاء الأمراء، نهاية تشرين الأول ٢٠١٥، في مطار بيروت وهو يُحمّل على متن طائرته الخاصة ألفي كيلو غرام من حبات الكبتاغون، وهو أحد أنواع المخدرات التي يستخدمها الجهاديون عندما يقومون بعمليات انتحارية. كانت الحبات مخبأة في أربعين حقيبة، وتعتبر هذه العملية أكبر عملية مصادرة مخدرات تحصل في لبنان.

لا يوجد، بالنسبة للأمراء الشباب، أي مُحرّم على الصعيد الأخلاقي، ويحكم المبالغة في سلوكهم شعور الإفلات من العقاب. تعود، مثلاً، الأمير محمد بن فهد، وهو أحد الأبناء العديدين للراحل الملك فهد، أن يتجول في جادة الشانزيليزيه بباريس، وهو يحمل على متن سيارته سلاحاً من عيار ثقيل، وعندما اكتشف أحد رجال الشرطة الباريسية وجود سلاح هجومي في السيارة، قام بإعلام رؤسائه في وزارة الداخلية الذين أجابوه: «كُفّ عن الاهتمام به». تم توجيه اتهام باعتداء جنسي إلى أمير شاب آخر، وهو ابن الملك الراحل عبد الله، في قصره الكائن بيفرلي هيلس[1]، كما بقيت وفاة الشيخ راشد، الابن الأكبر لأمير دبي، في شهر أيلول ٢٠١٥ أحد رموز الإسراف والتبذير. أُعلنت وفاة الشيخ راشد، البالغ من العمر أربعاً وثلاثين سنة، رسمياً أنها جاءت إثر نوبة قلبية. لكن من المعروف عن الشيخ راشد ولعه بالخيول، والنساء الفاتنات والسيارات الفخمة[2].

تغمض الحكومات الخليجية عيونها عن الفساد الخلقي لأمرائها. في حين أنه داخل المملكة العربية السعودية إذا ما ضُبط فيها أي مقيم أجنبي يحمل في صندوق سيارته مشروبات كحولية، يُعامل بلا رحمة وبدون هوادة! فبحسب القانون السعودي يُحكم بالسجن، من خمس سنوات إلى عشر سنوات، على كل من يُضبط معه أكثر من أربع وعشرين زجاجة خمر (مفهوم الترتيب)، ومن سنة إلى ثلاث سنوات لأقل من أربع وعشرين زجاجة (مفهوم الاستهلاك).

تم اعتقال كارل أندري، وهو بريطاني يبلغ من العمر أربعة وسبعين عاماً، في شهر آب ٢٠١٤ بمدينة جدة، لأنه كان ينقل على متن سيارته

---

(١) القبض على أمير سعودي بتهمة جريمة جنسية، لوس انجلوس تيمز، ٢٤ أيلول ٢٠١٥.

(١) «يخفي موت الابن الأكبر لأمير دبي أسرار عالم الانحراف والعنف لدى أمراء الخليج» موقع أتلنتيكو، ٢٩ أيلول ٢٠١٥.

زجاجات خمر، وحُكم على هذا السبعيني بثلاثمئة وخمسين جلدة لحيازته على كحول من صنع يدوي. مارست لندن ضغوطاً لكي ينجو السبعيني من هذا العقاب «لأسباب صحية».

السعودية هي بلد الإحباطات والممنوعات، يسود فيها الرياء، وتجري فيها الأمور بالخفاء خوفاً من الأغلال الوهابية. لذلك، يرّوح السعوديون عن أنفسهم، يخرجون لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في دبي أو في المنامة، حيث يسمح في هاتين المدينتين بتناول الكحول في المطاعم، والبارات، والفنادق، ومن أجل ذلك يجتازون الجسر الذي يربط المملكة بالبحرين، والمعروف باسم جسر جوني ويكر بريدج. وبحسب السفارة السعودية في المنامة، يلقى خمسة وثلاثون سعودياً، وسطياً، في كل أسبوع حتفهم بحالة السكر المميت.

إجـــازات الأمـــراء

كما هو الحال عند أمراء الملكيات الأوربية، يشكل الصيد التسلية المفضلة عند أمراء الخليج. يتمون، تميم أمير قطر، بالبنادق من عند بائع الأسلحة البريطاني الشهير هولاند آند هولاند. يبلغ ثمن بندقية القربينيه، بدون أية إضافات، مئة ألف يورو، يلتهب السعر كلما حصلت إضافات مثل ترصيع الأخمص (بالذهب، بالألماس، بالأحجار الثمينة وغيرها). يقوم تميم باستئجار طائرات خاصة للذهاب إلى الصيد في شتى أنحاء العالم: في إسكتلندا، في أفريقيا بالإضافة إلى ملكيته الخاصة التي اشتراها في منطقة السين والمارن في أرمينفيليه، التي تبلغ مساحتها ألف هكتار، وذلك لإشباع نزوته.

لقد أهدى الرئيس التونسي الأسبق ابن علي، وهو في أوج زهوه، لمحمد بن نايف، الذي يشغل اليوم منصب ولي العهد في المملكة العربية السعودية، مساحات شاسعة من أراضي الصيد في جنوب البلاد لصيد

الحبارى، وهو نوع من الطيور البرية. «ركب محمد بن نايف، في أحد مقرات إقامته الخاصة بالصيد، جهاز كمبيوتر يصله بوزارة الداخلية التي يرأسها في المملكة العربية السعودية، لمتابعة محاربة الإرهاب». هذا ما أفشى به دبلوماسي تونسي. لقد فرض محمد بن نايف أن تنعقد جميع اجتماعات وزراء الداخلية العرب في تونس، وذلك تعبيراً عن شكره لهدية الرئيس ابن علي. وهكذا لم يكن مستغرباً أن تمنح السعودية اللجوء للديكتاتور التونسي الأسبق والذي لازال مقيماً على الأراضي السعودية في جدة.

يُفضل شقيق الملك سلمان، أحمد بن عبد العزيز، الصيد في كازاخستان. ومن أجل ذلك، لا يتردد في استئجار طائرات روسية من طراز أنتونوف ليحمّل على متنها سيارته الفخمة ٤×٤، ومعداته اللازمة لتأمين إقامته. وبحسب برقية دبلوماسية أرسلت من السفارة الباريسية عام ٢٠١٠، يعتبر جنوب العراق أيضاً أحد مواقع الصيد التي تجذب الأمراء: «تعشق العائلات المالكة في الخليج الصيد في الصحراء العراقية، لكنها تتعرض أحياناً لعوائق. يقصد أمراء الخليج صحراء العراق بغية صيد الغزلان، والحبارى، والحجل. حيث يمارس الصيد في هذه الصحراء الممتدة على طول الحدود مع سورية، والأردن، والسعودية. إن هذه الحدود غير مضبوطة تماماً، وهذا ما أتاح للإرهابيين التسلل والقيام بأعمال خطف، إذ قاموا باختطاف ثلاثة رؤساء عشائر إماراتية، ومرافقهم العراقي وولده في صحراء الأنبار بالقرب من الموصل، وذلك خلال رحلة صيد بحثاً عن الصقر. وكان الإماراتيون قد دخلوا العراق دخولاً غير شرعي. وبحسب الإشاعات التي سرت قد تكون القاعدة وراء عملية خطف الإماراتيين الثلاثة الذين تم تحريرهم بعد دفع فدية ضخمة. واجه ستة وعشرون صياداً قطرياً، ومن بينهم أفراد من العائلة الملكية آل ثاني، المصير نفسه، لكن في جنوب العراق هذه المرة، علماً بأنهم قد دخلوا العراق بموافقة رسمية من بغداد. إلا أن هذه العملية أخذت منحى سياسياً، وليس طلباً لفدية: فقد طلب

يُفضل شقيق الملك سلمان، أحمد بن عبد العزيز، الصيد في كازاخستان. ومن أجل ذلك، لا يتردد في استئجار طائرات روسية من طراز أنتونوف ليحمّل على متنها سيارته الفخمة ٤×٤، ومعداته اللازمة لتأمين إقامته. وبحسب برقية دبلوماسية أرسلت من السفارة الباريسية عام ٢٠١٠، يعتبر جنوب العراق أيضاً أحد مواقع الصيد التي تجذب الأمراء: «تعشق العائلات المالكة في الخليج الصيد في الصحراء العراقية، لكنها تتعرض أحياناً لعوائق. يقصد أمراء الخليج صحراء العراق بغية صيد الغزلان، والحبارى، والحجل. حيث يمارس الصيد في هذه الصحراء الممتدة على طول الحدود مع سورية، والأردن، والسعودية. إن هذه الحدود غير مضبوطة تماماً، وهذا ما أتاح للإرهابيين التسلل والقيام بأعمال خطف، إذ قاموا باختطاف ثلاثة رؤساء عشائر إماراتية، ومرافقهم العراقي وولده في صحراء الأنبار بالقرب من الموصل، وذلك خلال رحلة صيد بحثاً عن الصقر. وكان الإماراتيون قد دخلوا العراق دخولاً غير شرعي. وبحسب الإشاعات التي سرت قد تكون القاعدة وراء عملية خطف الإماراتيين الثلاثة الذين تم تحريرهم بعد دفع فدية ضخمة. واجه ستة وعشرون صياداً قطرياً، ومن بينهم أفراد من العائلة الملكية آل ثاني، المصير نفسه، لكن في جنوب العراق هذه المرة، علماً بأنهم قد دخلوا العراق بموافقة رسمية من بغداد. إلا أن هذه العملية أخذت منحى سياسياً، وليس طلباً لفدية: فقد طلب الخاطفون الشيعيون، إطلاق سراح عدد من كوادر حزب الله اللبناني المحتجزين من قبل داعش وجبهة النصرة، الفرع السوري للقاعدة. تم تحرير أحد الأمراء، بينما لا يزال آخر رهينة عندهم، ولذا فإنه قد يصبح ضحية إضافية للتوتر القائم بين السنة والشيعة الذي يلقى بظلاله على المنطقة.

يحط فصل الصيف رحاله، بعد انتهاء فصل الصيد، ويبدأ أمراؤنا بالبحث عن منتجعات، هرباً من الحرّ في الخليج الذي يتجاوز الخمسين

درجة في الظل، فيتوجهون نحو سماوات أوربا وأمريكا الأكثر اعتدالاً. يستأجر الأمراء طائرات شحن خاصة لنقل سيارات البورش، والفيراري، وسيارات الماسيراتي الأخرى، وجميع الأمراء يملكون عقارات خاصة بهم في لندن، وفي باريس، وفي جنيف، وعلى الشاطئ اللازوردي في جنوب فرنسا (كوت دازير)[1].

أثارت المظاهر التي حصلت أثناء قضاء الملك سلمان عطلته في فالوريس صيف ٢٠١٥ استهجاناً كبيراً بوجود ألف شخص مرافق للملك، وسال كثير من الحبر حول إنشاء مدخل من الإسمنت يؤدي إلى شاطئ ميراندول العام، وذلك أمام قصر العاهل السعودي[2]. حاز الملك فهد على هذه الملكية – قصر أورور – عام ١٩٧٩. تنازل خلفه الملك عبد الله عنها لصالح قصره في الدار البيضاء، في المغرب.

رجع الملك السعودي، للمرة الأولى، إلى الكوت دازير بعد غياب لفترة طويلة من الزمن، لكنه عاد أدراجه، ومعه حاشيته، إلى المغرب بعد أيام قليلة مغتاظاً من الهجوم الكلامي الذي شُن عليه، وهذا ما أزعج كثيراً من التجار المحليين. تم تخصيص كل فرد من الحاشية بمبلغ عشرة آلاف دولار يومياً، لقضاء حاجاته ومشترياته: أي مصروف جيبه. اغتاظ الملك سلمان من الاستقبال الذي لاقاه في فرنسة.

يقضي آل ثاني صيفهم على مرتفعات كان. يعشق أمير قطر السابق الشيخ حمد، الذي تنازل عن عرشه لصالح ولده تميم، الإبحار على متن القطرا، وهو يخته الذي يبلغ طوله مئة وأربعة وعشرين متراً، في عباب البحر

---

(١) يمتلك الملك سلمان شقة في جادة فوش، في باريس وأخرى في لندن.

(٢) أحدث بناء تلة من الإسمنت مصبوبة أمام نزل الملك فهد في خليج جوان جدلاً كبيراً» بينس-ماتان، ١٥ تموز ٢٠١٥

الأبيض المتوسط من جزر الباليار حتى بحر إيجه حيث اشترى هناك ست جزر يونانية، الأشيناد، بمبلغ يتجاوز ثمانية ملايين يورو ونصف المليون[1].

أما العائلة المالكة في الإمارات العربية المتحدة، فهي تفضل الهواء العليل لبحيرة ليمان ولسويسرا[2]. وكان الشيخ زايد قد اشترى ملكية كبيرة في منطقة ماكسيلي سير ليمان، بالقرب من جنيف. يتجمع الأمراء الكويتيون حول ديفون لي بان حيث يملك آل الصباح فيها عقارات خاصة بهم. إن أمراء الخليج مولعون بالحجر الجميل وبسحر البناء القديم. فقد أهدى ملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة نفسه قصر بوربون - كوندي في الدائرة السابعة في باريس. تم ترميم وإعادة تأهيل هذا القصر التاريخي، حيث كلف مبلغ سبعين مليون يورو، هذا في الوقت الذي يعاني فيه معظم أبناء شعبه شظف العيش. لم يكتف ملك البحرين بهذا فقط، بل اشترى أيضاً قصر كريتز – أرمينفيليه بمنطقة السين والمارن، مع حديقته التي تبلغ مساحتها أربعمئة هكتار، وقد كان هذا القصر حتى تاريخه ملكية للعرش الملكي المغربي.

إن كانت لندن تغنم باستثمارات الإماراتيين والكويتيين في مجال العقارات، تبقى باريس الوجهة المفضلة للسعوديين والقطريين. «إنهم لا يطلبون شراء عقار تقل مساحته عن ستمئة مترٍ مربع، هذا ما أكده صاحب مكتب عقاري مختص بالزبائن الخليجيين، إنهم يشترون كثيراً في الدائرة السادسة عشرة». وقد اشترت إحدى كريمات الملك الراحل عبد الله نزلاً تبلغ مساحته ألف متر مربع في جادة ريمون بوان كاريه. تابع صاحب المكتب العقاري المختص بزبائن الخليج قوله، إنه بعد تقلد الملك سلمان مقاليد الحكم في السعودية، وصعود نجم ولده محمد بن سلمان كولي لولي

---

(١) اشترى أمير قطر ست جزر يونانية بثمن بخس، الغارديان، ٤ آذار ٢٠١٣.

(٢) «يتمركز الشيوخ حول بحيرة ليمان»، لوماتانديمانش.

العهد، «سارع عدد من أعضاء الأسرة المالكة بزيادة مشترياتهم في العاصمة الفرنسية، خوفاً من محمد بن سلمان الذي أبعد الكثير منهم، فأخذوا احتياطاتهم درءاً لأي ضربة محتملة وذلك بتأمين خلفهم».

يعتري قسماً كبيراً من أفراد العائلة المالكة والشخصيات المهمة في المملكة اضطراب وقلق.

«يقول محامي باريسي مختص بالأعمال، ومستشار لعدد من أمراء الخليج: كانت الأولوية بالنسبة لأمراء الخليج، منذ ثلاث سنوات، تذهب نحو تضخيم ثرواتهم العقارية، لكنهم، في الوقت الحالي، غيروا في توجهاتهم بشكل جذري. فأصبح هاجسهم اليوم هو تأمين وضمان ثرواتهم. يسألونني دائماً، يضيف المحامي، ما هو العمل لحماية مالي؟».

يستخدم أمراء الخليج الآليات الأكثر كتماناً لضمان سرية استثماراتهم العقارية.

«يقوم أمراء الخليج، الذين لدى شركائهم ملكية عقارية في باريس، بتأسيس شركة عقارية مدنية باسم شركة لوكسمبرجوازية أو بلجيكية ستقوم بتمويل هذه الحيازة عبر وكيل في جيرسي، ومن ثم تتوارى تحت ثلاثة أو أربعة طوابق من الشركات خارج الشاطئ وذلك للتمويه. إن العملية بمجملها تموّل بقرض مرهون ومحجوز بنفس المبلغ المودع لدى مصرف سويسري» وهكذا يفلت الأمراء من دفع الضرائب على الثروة، ولا أحد رأى، ولا أحد عرف، كما يفلتون من أي حجز على الأملاك العقارية.

يُشكل أمراء الخليج وشخصياته المهمة هدفاً مميزاً للصوص، أثناء إقامتهم في الخارج، ولاسيما أنهم يتجولون وفي جيوبهم رزم من قطع المال، وتتباهى نساؤهم بالحلي والمجوهرات غالية الأثمان. كما أن لهم طقوسهم الخاصة بهم في فنادق النجوم الخمسة في الدائرة الباريسية الثامنة، وهذا ما يسهّل عمل استدلال المجرمين عليهم.

«سجلنا، في شهر تموز ٢٠١٥، عدداً قياسياً من السرقات ضد زبائننا الخليجيين، أكد لنا ذلك موظف كبير في فندق ضخم يقع في جادة الشانزيلزيه. فقد تم تقديم سبع وثلاثين شكوى إلى مركز الشرطة. كما تعرض مسؤول قطري، يزور باريس في إطار اتفاق عسكري، لعملية سرقة محفظة الوثائق التي كانت بحوزته وهو حاضرٌ على منضدة الاستقبال في الفندق. شوهد، عبر كاميرات المراقبة، رجل يقترب من الزبون القطري، وقد سرق له أمتعته».

لجأت مؤخراً سفارات المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، إلى إيصال تعليمات إلى الفنادق الضخمة في باريس، من شأنها اتخاذ احتياطات إضافية بخصوص مواطني بلديهما، وهذا يعني على أرض الواقع، أن تقوم شركات الحماية المؤهلة بتقديم حراسة شخصية (رجال ونساء) وسيارات مصفحة. إن عملية إنجاح إقامة الأمراء الخليجيين هي عمل تجاري يُدر الكثير من المال!

لكن ما يلفت الانتباه، هو أنه في الوقت الذي يلهو فيه أمراء الخليج وشخصياته المهمة في الخارج ويصرفون بدون حساب المال، يغرق الشباب السعودي في الضجر وهم في بلدهم. لقد ضاق الشباب السعودي ذرعاً بكثرة الممنوعات الدينية وبالقواعد الاجتماعية، حيث إنّ فرض المتعة والترفيه نادر في بلاد الله، وإنّ دور السينما والمسرح والرقص لا تزال محظورة.

يقضي الشباب حياتهم وهم يتسكعون في المراكز التجارية، ويقومون بتصرفات محفوفة بالمخاطر. وفي ليلة الجمعة، عطلة نهاية الأسبوع، يتسلون بالقيام بعروض ليلية بسياراتهم أو على الموتورات يجوبون جادة التحلية

وهي بمثابة شانزيليزيه الرياض. إن تعاظم هذه الظاهرة دفع العلماء المسلمين إلى إصدار فتوى تدين هذه المظاهرات الليلية، التي وصفوها بالظاهرة السيئة، التي يقوم بها بعض الشباب المنحرفين بالفكر وبالعمل[١]. لكن هذه الفتوى لم تعط أية نتيجة.

ابتكر الشباب السعودي المحبط اجتماعياً وثقافياً، ألعاباً آثمة وذلك من أجل الهروب من حالة الروتين، مثل لعبة «القذف عالياً بسياراتهم الفخمة، على الطريق العام الرئيسي، فهم يسيرون بسرعة عالية وهم يتعلقون بأبواب السيارات تاركين المركبة تنزلق على الزفت، كما لو كانوا يقومون بألعاب رياضية مائية. و يقومون بتفريغ محتويات سياراتهم تاركين فقط كرسياً واحداً في حجرة السائق. أما في الصحراء، فتشمل اللعبة تسلق كثبان من الرمل بسياراتهم المخففة إلى أعلى قمة ممكنة دون أن تنقلب! وكان يقع، في كل عطلة نهاية أسبوع، جرحى وأحياناً قتلى من جراء هذه اللعبة.

إن العالم الذهني للسعوديين مصاب بالانفصام. يتغنى وزير خارجية السعودية عادل الجبير قائلاً: «يعتبر شعبنا، بدون أدنى شك، الأكثر ربطاً بالإنترنيت في العالم، إذ يستخدم التويتر[٢] نصف الشعب السعودي». ويرتفع عدد مشاهدات اليوتيوب يومياً إلى مئة وتسعين مليون مشاهدة. يستفحل، في عصر العولمة، التوتر بين الحداثة والتراث.

وبحسب دبلوماسي فرنسي خدم لفترة طويلة في المملكة العربية السعودية «إن التناقض بين الانفتاح والانغلاق موجود في السعودية منذ

---

(١) مملكة الإسفلت – الشباب السعودي يتمرد، باسكال مينوريه، دار الطباعة لاديكوفيرتويلدبروجكت، ٢٠١٦.

(٢) لقاء مع أحد المؤلفين، باريس، ١٠ أيار ٢٠١٦.

الأزل. فهو ليس بجديد، وإنما يأخذ اليوم شكلاً أكثر حدة نظراً لتعاظم التحديات الواجب التصدي لها».

إن إولى التحديات، التي كانت ولا زالت، تعود إلى معاهدة عام ١٩٤٤، التي سمحت للمؤسسة الدينية بممارسة هيمنتها على المجتمع السعودي. وبحسب معظم المختصين بشؤون المملكة، فإن الأمور ليست على مقربة من التغيير.

يتعلق التحدي الآخر بحكم الشيوخ (المسنين) الذين يمسكون بمقاليد الحكم في المملكة العربية السعودية. والسؤال الذي يتردد على ألسنة السعوديين جميعهم: من سيخلف الملك سلمان البالغ من العمر ثمانين حولاً؟

السعودية الجديدة

«أنا خوان كارلوس على الهاتف، هل استطيع التحدث مع الملك سلمان؟ ».

هكذا تحدث العاهل الإسباني السابق عندما اتصل بنظيره العاهل السعودي على هاتفه الجوال، وقد تفاجأ بعدم التعرف على صوته، حيث كان على الطرف الآخر من الهاتف صوت شاب يجيب: «أجل خوان كارلوس ملك إسبانيا، إن الملك سلمان منهمك في عمل لا يستطيع التحدث! »، كان هذا الصوت لابن سلمان الذي أبعده عن الساحة، إنه محمد بن سلمان، النجم الصاعد في المملكة منذ تولي والده عرش الحكم إثر

رحيل عبد الله في كانون الثاني[1] ٢٠١٥.

تعيش السعودية، منذ ذلك التاريخ، مخاض ثورة مصغرة، حتى لو كانت هذه المفردة مكروهة في هذا البلد الذي يكره التسارعات القاسية في التاريخ. فالسعودية هي أكثر من مملكة، هي أوليغارشية (حكم القلة) أميرية كانت ولا زالت حتى الآن.

يحيك العديد من الأمراء، أصحاب الدم الملكي، المكائد في الخفاء بانتظار خلافة الملك عبد الله، الذي أنهكه المرض منذ سنوات عدة. من بين الطامعين بالعرش يتصدر ابن عبد الله الأمير متعب، وخالد بن سلطان، ابن الأمير سلطان، الأخ غير الشقيق للملك عبد الله، وأخيراً محمد بن نايف، ابن الأمير نايف هو الآخر أخ غير شقيق للملك عبد الله.

من المعروف أنه في السعودية يوجد معادلة السلطة تساوي المال، فكل واحد، من هؤلاء الطامحين للوصول إلى العرش، أسس لبناء إمبراطورية تحت جناحي رب العائلة الرحيم الكريم المتربع كل منهم على عرش جماعته. فقد أوكل إلى محمد بن نايف عهدة محاربة الإرهاب تحت قيادة وزارة الداخلية التي رأسها والده طيلة أربعين عاماً. عُهد إلى خالد بن سلطان قيادة الجيش، الذي رعاه والده سلطان، وتسلم متعب مقاليد قيادة الحرس الوطني، الذي هو شكل من أشكال حرس الطاغية في خدمة الملك عبد الله.

لقد فسحت لعبة التوازن العسكري والقبائلي البارعة المجال لنمو هذه الصراعات الداخلية. أمّن متعب حماية النظام والمؤسسات النفطية، وذلك من خلال الحرس الوطني والعشائر التي يتألف منها. وحمل خالد بن سلطان مسؤولية حماية الحدود، والملف النووي. تصدى محمد بن نايف، من جهته، لحماية العائلة من مخالب القاعدة. لكن في الخفاء، أخرج الأمراء سيوفهم من أغمادها بدءاً من عام ٢٠١٠ مع بداية تدهور الحالة الصحية للملك عبد الله.

---

(١) روى السفير الإسباني في الرياض هذه الطرفة.

نهاية مُضنية لحكم عبد الله

أرسلت السفارة الفرنسية بالرياض برقية دبلوماسية إلى باريس، وذلك قبل قيام رئيس الوزراء الفرنسي فرانسوا فيون بزيارة المملكة في شباط ٢٠١١، تحذر فيها قائلة: «لا تأبهوا لمظاهر محدثيكم، وإلا ستذابون بالرعب! الملك عبد الله متعب جداً، وولي العهد سلطان هو أيضاً سقيم جداً، ووزير الداخلية نايف يمشي بخطى ثقيلة كعجوز أكل الدهر عليه وشرب، أما سعود الفيصل، رئيس الدبلوماسية السعودية، فحاله ليس بأحسن». لم يبق في الميدان سوى الأمير سلمان، حاكم الرياض آنذاك، ويبلغ من العمر ثمانية وسبعين عاماً، ويبدو أنه في صحة لا بأس بها نسبياً. بالنسبة للآخرين أي «عصابة الأربعة» فهم أيضاً يبدون عجائز عاجزين جداً عن القيام بأي مهام، حيث إنهم جميعاً يتجاوزون الثمانين حولاً. طبعاً، لقد أنجب الملك عبد الله طفلاً، وهو في الثمانين من عمره، من شابة مغربية، مع أن أطباءه الأميركيين طلبوا منه أن لا يكثر من الفياغرا[1].

تخلل السنوات الأخيرة من حكم عبد الله رحيل العديد ممن كانوا يطمعون بالخلافة من بين أبناء عبد العزيز بن سعود الآخرين الذين يبلغ عددهم ثلاثة وخمسين ابناً لمؤسس المملكة العربية السعودية.

رحل وزير الدفاع الأمير سلطان في تشرين الأول ٢٠١١، بعد أن بقي على رأس هذه الوزارة منذ عام ١٩٦٣. جمع الأمير سلطان ثروة طائلة، كان

---

(١) لقاء مع دبلوماسي، الرياض، نيسان ٢٠١٦، سبقت الإشارة إليها في ويكيلكس.

أساسها عقود التسليح الضخمة التي وقعتها السعودية منذ الثمانينيات مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا.

لقد ترك إرثاً لأولاده يتجاوز مبلغ مئتين وسبعين ملياراً من الدولارات، فاسدة بامتياز. لم تُذرف دموع حقيقية على رحيله، إذ أمضى شهوره الأخيرة غائباً عن المملكة قضاها بين مشفى روشيستر مايو في الولايات المتحدة، وقصره في الأغادير بالمملكة المغربية.

سيحفظ التاريخ للأمير سلطان دوره في تحديث القوات المسلحة، فتضاعف عديدها إلى أن وصل إلى مئة ألف رجل، وكذلك في الحصول على عقود مثمرة لتسليح الجيش إلى أن شرع الملك عبد الله في صياغة نظم جديدة لوضع حد لهذه الصفقات غير الشفافة.

ما إن رحل سلطان، حتى هبَّ الملك عبد الله والمقربين منه لتحطيم جماعة أخيه غير الشقيق. وكان خالد بن سلطان، ابن الأمير سلطان، أول الضحايا في تصفية الحسابات. وشيئاً فشيئاً، بعد رحيل رب العائلة سلطان، اتجه الملك عبد الله لتفضيل الأمير سلمان على خالد بن سلطان في منصب وزير الدفاع، مع العلم أن خالد بن سلطان كان يحتل منصب نائب وزير الدفاع. على كل حال، احتاج أمر التخلص نهائياً من خالد بن سلطان لستة أشهر من حرب الخنادق التي كانت شرسة للغاية. تمت إحالة خالد بن سلطان إلى تقاعد قاس، تم إبلاغ المعني فيه بواسطة بيان من ثلاثة سطور في ربيع عام ٢٠١٢. ولكن وكما هي العادة عند آل سعود تنتصر إرادة عدم إذلال أي عضو من العائلة المالكة، قام ولي العهد، سلمان بالتعويض على خالد بن سلطان من خلال منح شركة الطيران ناس اير، المقربة من خالد عقود جديدة لنقل الحجاج من تشاد والسودان إلى مكة.

خلت الساحة لمتعب ابن الملك عبد الله، بعد استبعاد خالد بن سلطان، وأصبح الملعب حراً من الآن فصاعداً. وبدعم من والده، بدأ

الأمير متعب بالسعي لتقديم نفسه وتلميع صورته كقامة دولية. «جرت العادة أن يأتي الأمير متعب إلى باريس كل ستة أشهر ليحل ضيفاً على نيكولا ساركوزي في قصر الأليزيه»[1]، هذا ما ذكره دبلوماسي.

كان يلتقي بشكل منتظم مع فرانسوا هولاند، منذ عام ٢٠١٢، وكذلك مع جان إيف لودريان، برفقة جورج فانسيولي الذي يدير سيزار انترناسيونال، وهو شخص رزين لكنه مزود أسلحة فرنسية فعّال جداً للحرس الوطني. حضر قائد الحرس الوطني في حزيران ٢٠١٢ صالون بورجيه وهو الموعد السنوي لصناعييّ الطيران، وذلك مع العلم أن الحرس الوطني هو قوة برية فقط.

كان الأمير متعب يسعى لتجهيز «وليده» بطائرات هيلوكوبتر المروحية، وذلك من أجل تدخل سريع في حال تعرض العائلة المالكة لأية عوارض.

جاء دور الأمير نايف، في حزيران ٢٠١٢، في الرحيل عن عالمنا، لم يتضايق الملك عبد الله كثيراً على رحيل أخيه غير الشقيق، الذي كان محافظاً ومقرباً من المتديّنين، كما كان مناهضاً للإصلاحات التي شرع بتنفيذها الملك عبد الله. وفي ظل التمزق الحاصل في العائلة المالكة، تم توقيع عهد بين الأخوة غير الأشقاء لوقف هذا التدهور الحاصل في العائلة. تُرك للملك عبد الله، بموجب هذا العهد، حرية إجراء الإصلاحات التي يراها مناسبة، كما تُرك لنايف الاهتمام بالشريحة المحافظة من المجتمع السعودي وطمأنتها. لكن الملك عبد الله تصرّف، كبدوي مكّار، تسكنه إرادة تمتين العهد بحيث تبقى الإصلاحات التي يقوم بها إلى ما بعد رحيله. لذلك حيكت تحالفات دم حوله، من خلال تزويج عدد من كريماته إلى أبناء أخيه غير الشقيق

---

(١) قام الأمير متعب بعمليات استثمار في باريس، منها شراء الفندق الفخم كريون.

نايف. المحافظة على السلطة لها مقتضياتها. تمت ترقية محمد بن نايف لتسلم مقاليد وزارة الداخلية، بعد رحيل والده، خاصة أنه أثبت براعة في قيادة عمليات محاربة الإرهاب.

تم إرساء سلام مسلح بين جماعة عبد الله ومحمد بن نايف، فالملك عبد الله بحاجة خبرة محمد بن نايف في محاربة الإرهاب. وكان الملك عبد الله قد أرسل وزير الداخلية، قبل وفاة نايف الأب بشهور عدة، لإعادة الهدوء إلى منطقة الشيعة المضطربة في شرق البلاد، وهي المنطقة التي تحوي المخزون الاحتياطي من البترول. لم يحصل محمد بن نايف فقط على رأس حاكم هذه المنطقة، محمد بن فهد، أحد أبناء الملك السابق فهد الذي كان يدير هذه المنطقة الاستراتيجية منذ عام ١٩٨٥، إنما وضع، خلفاً له على رأس هذه المنطقة، أخاه الأكبر سعود بن نايف، والذي كان حتى ٢٠١٠ سفيراً للسعودية في إسبانيا، وبهذه الصفة قام بهندسة التقارب بين العائلات المالكة، مما سمح للمؤسسات الإسبانية بالحصول على عقود كبيرة في المملكة العربية السعودية.

تبدو جماعة محمد بن نايف أقوى من أية لحظة مضت، وذلك بإمساكها بمقاليد قيادة المنطقة البترولية ووزارة الداخلية.

لقد أدت الصراعات الداخلية بين المجموعات إلى تباطؤ في وتيرة العمل، إذ لم يعد أي وزير يجرؤ على اتخاذ قرارات مهمة، أو توقيع عقود كبيرة خوفاً من إعادة النظر فيها لاحقاً من قبل الملك القادم. لكن بقي الحرص على حماية العائلة المالكة يحتل الأولوية خلال مرحلة نهاية حكم الملك عبد الله. «بقي السؤال الأول الذي كان يطرحه الملك عبد الله، على نفسه، في كل صباح وأثناء حلاقة ذقنه هو: أين ستكون عائلتي بعد خمسين عاماً، هل ستبقى متربعة على عرش المملكة العربية السعودية؟ أو ستكون منفية في واشنطن، أو في قصر بالمغرب. وما هو السبيل لإبقائها؟ هذا ما كشفه دبلوماسي أمريكي أمام زميله الفرنسي».

سلمان، حارس بيت آل سعود

أصبح سلمان ملكاً، وهو الابن الخامس والعشرون لعبد العزيز، وذلك بعد رحيل أخيه غير الشقيق عبد الله في الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني ٢٠١٥.

لم يحظ رحيل عبد الله بتكريم كبير من قبل الملك سلمان الذي اكتفى بإغلاق المؤسسات الحكومية لمدة أربع وعشرين ساعة فقط، حتى دون إعلان حداد وطني.

باشر الملك سلمان مباشرة بإبعاد عدد من المقربين من عبد الله: بدأ باثنين من أبناء الراحل الأمير مشعل (حاكم منطقة مكة)، والأمير تركي (حاكم الرياض)، وخاصة خالد التويجري، رئيس مكتب الملك عبد الله والمتنفذ جداً، والذي انتهز فرصة مرض الملك عبد الله لتوسيع سلطاته.

أقال العاهل الجديد ولي العهد مقرن، وذلك في إطار حملته لتنظيف البيت، كونه كان مقرباً من الراحل عبد الله: وهذا الحدث غير مسبوق في تاريخ المملكة. عيّن مكانه ابن شقيقه محمد بن نايف، قام أيضاً بترقية ولده محمد بن سلمان إلى منصب ولي ولي العهد، تحت عنوان تجديد السلطة بتطعيمها بالشباب. انتهت مرحلة تقاسم السلطة بين الأمراء في عهد الملك سلمان، وجاء زمن «الثالوث المقدس» بقيادة مقدرات «السعودية الجديدة»: الملك، والمحمدين، ولي العهد بن نايف، وولي ولي العهد بن سلمان.

تم استبعاد الأمراء الآخرين، بمن فيهم عدد من إخوة الملك عبد الله غير الأشقاء (مقرن وأحمد) وهم مؤهلون للطموح للسلطة. ولكن ولكي تطمئن القلوب، لم يكن استبعاد هؤلاء الأمراء بدون مقابل، لا بل كان الثمن غالياً. «قبض كل واحد من الأحد عشر أميراً، المستبعدين من السباق

باتجاه العرش، ما بين مليار وملياريـن مـن الـدولارات»، «لقـد قـبض مقـرن وحده مبلغ ملياري دولار»، بـاح بـذلك أحـد الدبلوماسيين المطلعين عن كثب على أمور المملكة.

تمحورت توجهات الحكم الجديد حول محورين هما: الاقتصاد، بقيادة محمد بن سلمان، والأمن، تحت قيادة محمد بـن نـايف. يـرأس الملك سـلمان اجتماع مجلس الوزراء، صباح كل يوم اثنين، في قصره. وينعقد، من بعد ظهر اليوم نفسه، اجتماع برئاسـة محمـد بـن سـلمان، للجنـة الـشؤون الاقتـصادية بحضور الوزراء المعنيين.

وفي اليوم التالي أي الثلاثاء صباحاً، تعقـد اللجنـة الـسياسية اجتماعهـا برئاسة ولي العهد محمد بن نايف، وبمشاركة محمد بـن سـلمان بـصفته وزيـراً للدفاع. احتفظ محمد بـن نـايف، إضـافة لمنصبه كـولي للعهـد، بقيـادة عمليـة محاربـة الإرهـاب، في حـين يـشرف محمـد بـن سـلمان عـلى الـدفاع والـشؤون الخارجية، عبر مقرب منه هو وزير الخارجية عادل الجبير، الذي كـان سـفيراً سابقاً للسعودية في الولايات المتحدة الأميركية. ها هي المرة الأولى التي يتبوأ فيها شخص من عامة الشعب منصب رئيس الدبلوماسية في المملكة.

غـاب الأمـراء عـن الحكومـة، إلا أن هنـاك أفـراداً مـن العائلـة المالكـة لا يزالـون حكامـاً لبعض الأقـاليم، وهـذا مـن شـأنه الحفـاظ عـلى تـوازن بـين الأفخاذ المختلفة لآل سعود. أما فيما يتعلـق بـالوزراء فمعظمهـم ينتمـون إلى طبقـة التكنـوقراطيين تـم اختيـارهم عـلى أسـاس الكفـاءة، وأحيانـاً هـم رجال أعمال.

إذا مـا كـان الملـك عبـد الله إصـلاحياً، فـإن سـلمان هـو أكثـر انتهازيـة، خاصة عـلى الـصعيد الاجتماعـي. «إنـه حـاكم الريـاض الفعـلي، وممثـل أهـل نجد، مهد عائلة آل سعود، وإداري يبدأ دوامه في السابعة والـنـصف صـباحاً لمتابعة شؤون العباد والـبلاد». هـذا مـا كـشفه الـسفير الفرنـسي في الـسعودية

برتراند بوزانيسيو.

بلا كلل ولا ملل، استمر سلمان، خلال خمس وخمسين سنة، في منصبه كحاكم للرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، هذا المنصب الذي يعتبر مرصداً[1] أتاح له فرصة نسج علاقات قوية مع العديد من العشائر التي استقرت في مدينة ضخمة يقطنها اليوم خمسة ملايين إنسان.

كانت تصرفاته الأولى مدروسة بشكل دقيق، وذلك بناءً على ما عُرف عنه بأنه شخص محافظ ومتشدد. فقد قام، بسرعة كبيرة، بتسمية مستشار له هو إمام جامع متشدد كان الملك عبد الله قد أبعده، أثار هذا الإجراء ضجة حول إعادة تمركز السلطة لصالح المتدينين.

«كانت شوارع جدة، في الأيام الأولى لحكم الملك سلمان، خالية من المارة، بحسب ما رواه مغترب أجنبي، لا أحد يرغب في الخروج من بيته، خوفاً من الشرطة الدينية» كان الارتباك سيد الموقف، والخوف كبير من أن يستند الملك الجديد على علماء الدين لتمكين سلطته.

عندما اقترب موعد الانتخابات البلدية، والتي فُتح فيها الباب لمشاركة المرأة، حضر إلى ديوان الملك مجموعة من رجال الدين يعربون عن معارضتهم لهذه المشاركة. إلا أن هذا القرار، الذي اُتخذ في عهد الملك عبد الله، يشكل جزءاً من المواضيع غير القابلة لإعادة النظر فيها من قبل المؤسسة الدينية. وما كان بإمكان السلطة مناقشة موضوع الفصل بين الجنسين مع العلماء في مكاتب الاقتراع، وكذلك تنظيم المجالس البلدية من حيث أماكن جلوس السيدات المنتخبات في المجلس. خطوتان إلى الأمام، وواحدة إلى الوراء.

---

(١) لم يكن المسؤولون الفرنسيون، باستثناء جاك شيراك، يقومون بإجراء لقاءات مع سلمان عندما كان حاكماً للرياض.

قام الملك سلمان، في الأشهر الأولى من حكمه، بمراقبة كل ما يجري عن كثب، وقد أطلق العنان للشرطة الدينية، لكن ما لبث أن قام بردعهم وبوضع حد لتجاوزاتهم، خاصة بعد فضيحة اغتصاب. لقد شدد الضغط على المطوعين بمنعهم من اعتقال أي فرد. يمكن القول باختصار إنّه لا مبرر لخوف البعض، فسلمان لم يضيق الخناق على المجتمع.

لا زال الملك سلمان، وبعد مضي سنتين على جلوسه على عرش المملكة، يطلق يد ولده محمد بن سلمان في مشوار تحديث الاقتصاد، بخطى مدروسة من الناحية الاجتماعية. «سنمضي بالتحديث إلى الحد الذي يرضاه الشعب، هذا هو المبدأ الذي يوجه سياسة الملك»، هذا ما أكده دبلوماسي، مذكراً بالخلفية المحافظة للمجتمع السعودي.

حدد الملك سلمان، معتمداً بذلك على خبرته الطويلة على رأس مجلس العائلة حيث كان يفصل في الخلافات بين المجموعات، أولويتين هما: الحفاظ على العقد الاجتماعي والإبقاء على الحد الأدنى من الانسجام داخل العائلة المالكة التي أصيبت بهزة إثر العملية الانتقالية. ها هي مرة أخرى، عملية الحفاظ على سلطة آل سعود على المحك. «بمشيئة القدر، سيكون سلمان إذن متحرراً ومحافظاً»، هذا ما ذهب إليه تقدير جاك بورجوا الضليع في شؤون المملكة.

يفك الدبلوماسي العتيق حسن ياسين رموز شخصية الملك السعودي، وهو الذي عاش على مقربة من الحلقة القيادية طيلة أربعين عاماً، قائلاً: «درس أبناء سلمان من زوجته الأولى، سلطانة صديري، في الولايات المتحدة الأمريكية، أما أولاده من زوجته الثانية فقد تلقوا تعليمهم في المملكة. كان سلمان، قبل أن يتبوأ منصب حاكم الرياض، منفتحاً، كان يسافر كثيراً. لكن ما إن أضحى يميل للاهتمام بالقضايا الأساسية. لا يمكنك وصفه بـ(المحافظ)، فالأهم بالنسبة لسلمان هو أنه استوعب أهمية

الحكم والتغيرات، ونقل هذا إلى أصغر أبنائه، ولاسيما المفضل بينهم لديه (محمد بن سلمان).

يروي دبلوماسي آخر يتردد على الديوان الملكي طرفة تبدو معبرة عن رؤية الملك سلمان للعالم العربي: «في الوقت الذي كان فيه سلمان ولياً للعهد إبان الربيع العربي، سألني ذات يوم: هل تعلم لماذا تتهاوى الجمهوريات، ولماذا لم تمس الأنظمة الملكية؟ السبب الرئيسي، كما يقول سلمان، هو أنه عندما قمتم، أنتم الأوربيون فرنسيون وبريطانيون، بمنح الاستقلال إلى البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية، تركتم خلفكم دساتير، وبرلمانات، وانتخابات .. وبكل بساطة، تابع سلمان، لا يوجد، لا في سورية ولا في غيرها، ثقافة ديمقراطية حقيقية. فماذا حصل لاحقاً؟ تساءل سلمان مضيفاً، إن النخب، التي ورثت السلطة، احتكرتها وتأقلمت بشكل ممتاز معها، ثم بدؤوا بالتفكير بتحويل سلطاتهم إلى حكم وراثي، وفي هذا تناقض فاضح بين النص والممارسة. أما نحن في المملكة العربية السعودية، فلا نتحدث إطلاقاً عن الديمقراطية، لكننا نسعى إلى تطوير المجتمع بشكل متزن».

محمد بن نايف، السيد أمن

انطلقت حرب صامتة، منذ وصول سلمان إلى سدة الحكم، بين ولده محمد بن سلمان، وابن شقيقه محمد بن نايف ولي العهد السعودي. تكمن خلفية هذه الحرب بين الرجلين، في الإدارة التي تسكن محمد بن سلمان، وهي رغبته في الاستئثار بالقسم الكبير من السلطات، منتهزاً فرصة وجود والده على رأس السلطة.

إذا ما بقي النظام البرتوكولي الحالي قائماً، فإن محمد بن نايف ذا السبعة

وخمسين عاماً، باعتباره ولياً للعهد، هو الذي سيكون الملك القادم. وهو يتمتع بإجماع العائلة المالكة، وله اليد الطولى في نظام الأمن، كما أنه يتمتع بدعم دولي و لاسيما من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. يتميز محمد بن نايف بأنه شخص رزين، ويقود محاربة الإرهاب. إن محمد بن نايف هو من حمى، بشكل كلي، العائلة المالكة آل سعود من الهجمات المتكررة للقاعدة إبان سنوات الدم ما بين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٦. إذ أرسى دعائم نظام حماية للأمراء ولمؤسساتهم، وذلك إثر محاولة اغتيال وزير الداخلية السعودي عام ٢٠٠٤ التي شكلت إنذاراً بالخطر على العائلة الحاكمة. كان محمد بن نايف نفسه هدفاً لأربع محاولات على الأقل لاغتياله، حصلت محاولة الاغتيال الأكثر دراماتيكية عام ٢٠١٠، حيث تقدم المهاجم باتجاه محمد بن نايف لتقديم التهاني له بمناسبة رمضان، وكان يخفي شحنة متفجرة على شكل تحميلة وضعها في فتحة الشرج. ولحسن الحظ، في اللحظة التي كان الإرهابي يقترب من محمد بن نايف، فيها تلقى اتصالاً هاتفياً، فابتعد عن الحشد للرد عليها، وهذا الاتصال كان من والده نايف على هاتفه المحمول.

حصل، في عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤، اختراق للشرطة السعودية حيث تسلل إلى صفوفها مناصرون للقاعدة، في نفس الوقت الذي كان يسافر فيه سعوديون إلى العراق لقتال «الاحتلال الأمريكي».

«في كل مرة، كانت السلطات تخطط فيها لعملية ضد الإرهاب، يتم إجهاض معظم هذه العمليات، لأن عملاء القاعدة، الذين تسللوا إلى صفوف الشرطة و الذين تبلغ نسبتهم ١٠%، كانوا يقومون بكشفها للقاعدة». هذا ما ذكره صناعي مقيم في الرياض منذ سنوات عديدة. شرعت جماعة نايف على أثر ذلك، وهي التي تتحكم بمقاليد وزارة الداخلية، بعملية تطهير طالت قوى الأمن، فاستبدلت العناصر الحجازية المخترقة من قبل القاعدة، بعناصر من عائلات نجدية معروفة بوفائها لآل

سعود و مراقبة عن كثب بشكل دائم. كانت المنافسة شرسة، وعمليات التنظيف كانت تجري بشكل أسبوعي، اختتم هذا الصناعي قوله.

انطلقت، في الوقت نفسه، حرب أخرى هي «حرب الأفكار» ضد كل أولئك الذين أغرتهم الأفكار الجهادية. فقد تمت صياغة برنامج للوقاية من التطرف، ولإعادة إدماج السعوديين العائدين من العراق أو المرحلين من السجن الأمريكي (غوانتانامو) تلقى الحرس الوطني تعليمات تخوله صلاحية توثيق العلاقات مع العشائر، وذلك بهدف معرفة ما يدور من حياكة للمؤامرات.

إضافة إلى هذا التشبيك العشائري عن طريق المخبرين الذين كانوا يأتون بالأخبار، فقد تم دفع مبالغ من المال للجهاديين السابقين كي يؤمِّنُوا عملاً وسكناً وزواجاً، وتشجيع العائلات على إعادة أبنائهم الضالين إلى الطريق السويّ طريق الإسلام اللاعنفي.

بدأت قوات الأمن، ابتداءً من عام ٢٠٠٥، باستباق الأحداث. لقد توصل الثنائي نايف وولده إلى طرد إرهابييّ القاعدة إلى اليمن المجاور، وإلى إجلاء المنظمات الخيرية التي كانت تمد بالمساعدة شبكة أسامة بن لادن، المقاتل السابق الذي جرّد من الجنسية السعودية من قبل الرياض. اعتمد محمد بن نايف في معركته هذه على مساعدة المخابرات المركزية الأميركية (CIA)، والتي تكن له، منذ ذلك الوقت، التقدير[١].

بدأت الحرب ضد القاعدة تعطي شكلها شيئاً فشيئاً، حتى لو أُصيبت بنكسة في شهر شباط ٢٠٠٧، وذلك عندما تم اغتيال سبعة فرنسيين بوحشية بينما كانوا يقومون بزيارة للموقع الأثري مدائن صالح، على أيدي كوماندوس جهادي.

---

(١) لم تكن واشنطن محبة لوالده نايف، المقرب من المتدينين، حيث رفض إيصال نتائج التحقيق، بخصوص تفجيرات أبراج الخبر عام ١٩٩٦ والتي قتل فيها تسعة عشر مواطناً أمريكياً، إلى الشرطة الأميركية (FBI).

«أعدكم بأننا سنلقي القبض على القتلة وسأدعوكم إلى حضور قطع رؤوسهم»، هذا ما التزمه محمد بن نايف أمام بيير غوجارد، ملحق الأمن الداخلي في السفارة الفرنسية[2].

بقي تحدي محاربة القاعدة كبيراً على الرغم من الضربات الموجعة التي تلقتها، هذا ما كان يبوح به محمد بن نايف أمام زواره الأجانب. «يوجد لدينا عشرة آلاف رجل على أهبة الاستعداد لارتكاب عمليات اغتيال، كما يوجد مليون آخر يشكل بيئة حاضنة جاهزة لمساعدتهم، ويتوجب علينا أن نشتغل على هذا المليون». يكمن هدفنا في أن نمنعهم من أن يتحولوا إلى الجهاد المسلح.

هذا ما كان عليه الحال منذ عشر سنوات، فأين نحن اليوم من داعش، التهديد الإرهابي الجديد[1]؟

«كان يقول لي عدد من أفراد عائلة آل سعود عام ٢٠٠٣، لدينا ما بين ١٢ و ١٥% من مجتمعنا متعاطفون مع القاعدة، هذا ما كشفه مختص أوربي في الرياض. والآن يقولون لي إن هذه النسبة ما بين ٢٠ و ٣٠%. آل سعود قلقون، لكن ما هو الدليل على ذلك؟ تقيم السعودية علاقات تحالف مع تركيا المدافعة عن الإخوان المسلمين، في الوقت الذي صنفت فيه السعودية الإخوان المسلمين كحركة إرهابية، هذا دليل على خوف السعوديين. إنهم يترددون».

---

(١) ارتكبت داعش خمساً وعشرين عملية اغتيال، خلال ثمانية عشر شهراً، في المملكة العربية السعودية وذلك حسب مصادر وزارة الداخلية.

(٢) تم تنفيذ حكم الإعدام بحق عدد من المجرمين في شهر شباط ٢٠١٦، وذلك عندما أُعدم سبعة وأربعون شخصاً رمياً بالرصاص.

وفي الأثناء، من هنا مرت الحرب في سورية. لقد لعب السعوديون بالنار مع عدوهم الأسد، بينما هم في الداخل متشددون في اجتثاث القاعدة.

تم سحب الملف السوري في ربيع ٢٠١٤، من يد بندر بن سلطان، مدير المخابرات السعودية. ليتم تسليمه إلى محمد بن نايف، الذي جسد مباشرة قطيعة مع بندر. استصدر وزير الداخلية فوراً مرسوماً من الديوان الملكي يقضي بمنع السعوديين من الانضمام إلى صفوف منظمة «متطرفة» في الخارج، أي في سورية والعراق.

لقد طوت الرياض صفحة بندر. لقد أعطى «الصقر» بندر وعداً للملك عبد الله الواهن، والذي أوكل إليه مهمة إسقاط الرئيس بشار الأسد، بأن ينتهي من إسقاط الرئيس السوري خلال ستة أشهر، وبأنه سيشمر عن ساقيه تأهباً للعمل مهما كان.

«لدى الشروع بأي حرب، يجب الذهاب إليها بدون أوهام، وكذا يجب مضاعفة الإمكانيات لإنجازها بأقصر وقت ممكن، هذا ما أكده بندر خلال لقاء مع وفد فرنسي(١) حضر لاستكشاف نواياه. تمنيت لو وضع تحت تصرفي اثنا عشر مليون دولار شهرياً لتمويل مجموع المحاربين» يؤكد بندر «جميع المحاربين»، وهذا يستلزم افتراض أن يذهب المال السعودي إلى مجموعات متطرفة إسلامية.

أكد بندر، وهو واثق بالنفس، أنه يسيطر على «ثمانين بالمئة من المقاتلين على الأرض». معترفاً، مع ذلك، أن المجموعات المسلحة تحتفظ لنفسها بهامش من الاستقلالية. لم يصعب على المخابرات الفرنسية اكتشاف تناقض

---

(١) يتألف الوفد من إيمانويل بون، مستشار الرئيس فرانسوا هولاند، بقصر الأليزيه، واريك شوفاليه السفير لدى المعارضة السورية، والعقيد باكسيريلو، عضو في الأركان العامة لرئيس الجمهورية. نشرت مجلة أريان مقتطفات من محضر الاجتماع.

في الأقوال. ولكي يبرر بندر سياسته المغامرة يقول: «إذا ما ذهبت إلى الأرض وقلت لهم: هيا أصغوا أيها الرجال، هاكم مئة مليون، ألقوا سلاحكم، لقد توصلنا إلى وقف لإطلاق النار. سيأخذون المئة مليون وسيتابعون القتال». وصل التلاعب بالمقاتلين، طريقة بندر الغالية على قلبه، إلى حدود مسدودة. فنتيجة لنقص المدربين على الأرض، لم تعد المخابرات السرية السعودية تسيطر وبشكل محدود إلا على المجموعات التي تمولها. أي، وبمعنى آخر، لم يعد بندر يسيطر إلا على القليل، خاصة بعد أن تم توزيع المال في سورية. مارست الإدارة الأمريكية ضغطاً على الرياض لاستبعاد بندر، وذلك بسبب قلقها من أن تقع الأسلحة بأيدي سيئة. وعلى أثر ذلك تم إيقاف كل نشاطاته، بينما أطلقت يد وزير الداخلية – السيد أمن – محمد بن نايف الذي انهمك في إيقاف سفر السعوديين إلى سورية.

استقبل باراك أوباما في البيت الأبيض مهندس تغيير الاستراتيجية في سورية، محمد بن نايف، كما استقبله في لانكلي، مقر المخابرات المركزية الأميركية (CIA) التي يديرها جون برنان، رئيس محطة الرياض سابقاً وأحد مناصري محمد بن نايف في الإدارة الأمريكية.

لم تقم فرنسا علاقات حسنة مع محمد بن نايف، بعكس الأميريكيين، فقد راهن قصر الأليزيه على نجاح الأمراء السابقين الطامعين بالعرش، مثل متعب وخالد بن سلطان. لذلك ولهذا السبب نفسه، اقترحت السفارة الفرنسية في الرياض تقليد محمد بن نايف وسام جوقة الشرف بمناسبة زيارته إلى باريس في بداية عام ٢٠١٦. إنها عملية استدراك باءت بالفشل، وذلك عندما كشفت الصحافة عن الحدث وهذا سبب حرجاً لقصر الأليزيه الذي لم يكن يرغب بالقيام بهذا التكريم. وكانت النتيجة أن انزعج محمد بن نايف من السفير الفرنسي برتراند بوزاتسنوا الذي اقترح له هذا الزر الوردي.

إذا ما أصبح محمد بن نايف، ذات يوم، ملكاً للمملكة العربية السعودية، فلن تؤول الملكية إلى خلفه مباشرةً وذلك نظراً لعدم وجود أبناء ذكور له. إن هذا الواقع يثلج صدر ابن عمه ويشكل مصدر سعادة لمحمد ابن سلمان.

محمد بن سلمان، الأمير الشاب الذي يُذهل

من يكون محمد بن سلمان؟ أليس هو أمير شاب عصبي المزاج، يرد بجواب فظ على اتصال من ملك إسبانيا؟ أم هو على العكس من ذلك أميرٌ حالمٌ متروٍّ؟ قد يكون الاثنين معاً. إنه الابن السادس من أصل عشرة أبناء للملك سلمان. متزوج من امرأتين له منهما أربعة أبناء، ولدين هما سلمان ومشهور، وبنتان هما فداء ونور.

« مقرب جداً من والده. وعندما يراه الأخير حاكماً للرياض، كان محمد يستيقظ قبل والده وينام بعده، هذا ما أكده صديق طفولته مازن سديري، الذي درس معه ويعمل حالياً في مجال المصارف. يقيم محمد بن سلمان علاقات وثيقة مع الأوساط المصرفية. هو محافظ لكنه ليس متزمتاً، لا يملك تجربة كبيرة، ولم يتابع أية دراسة في الخارج. يحيط به عدد كبير من الحاسدين الذين يغارون منه. لكن لا يملك الأمراء الآخرون كفاءات ».

البديهية الأولى: استفاد هذا الشاب الجسور، والذي بقي لفترة طويلة يتعتع في الكلام، من قربه من والده، الذي منحه رعاية خاصة قبل تبوئه كرسي العرش. « لقد بقي محمد ابن سلمان ساكناً في دار والده، في حين أن إخوته غير الأشقاء شقوا طريقهم في الحياة خارج منزل الأب، وهذا ما أكسبه خبرة من خلال الاحتكاك الدائم مع والده والاعتناء به.

لقد أراد الملك سلمان أن يتيح لابنه محمد فرصة القيام بشيء ما، لأن محمد بن سلمان لديه أفكار ». هذا ما أشار إليه سفير فرنسا في الرياض بوزانسنو.

شغل محمد بن سلمان عدة وظائف، وذلك في السنوات التي سبقت تسلم والده مقاليد العرش في السعودية، من بين هذه الوظائف: أنه اشتغل مستشاراً خاصاً لوالده، ووزيراً للدفاع عام ٢٠١١ - برتبة وزير دولة - ثم عُيّن، عام ٢٠١٢، مستشاراً خاصاً لسلمان عندما أصبح ولياً للعهد. ولدى تشكيل أول حكومة في عهد والده، أصبح محمد بن سلمان يشغل، في الوقت نفسه، منصب وزير الدفاع، ومدير الديوان الملكي، ورئيس لجنة الشؤون الاقتصادية والتطوير. إضافة لكل ذلك، فقد عُيّن محمد بن سلمان، في التاسع والعشرين من شهر نيسان ٢٠١٥، وليّ ولي العهد، ورئيساً للمجلس الأعلى لأرامكو.

لقد جمع محمد بن سلمان ثروة طائلة في مجال العقارات بالرياض، وهذا الأمر غير معروف لدى جمهور عريض من السعوديين، وذلك بعد أن دخل في شركة هي التي تتسلم الأراضي من والده، حاكم الرياض.

لا يجيد محمد بن سلمان اللغةَ الإنكليزيةَ، وتقول الألسن السيئة عنه، إنه قد اشترى شهادته البكالوريوس في الحقوق من جامعة الملك سعود في الرياض. يتحلّقُ حوله عدد من المستشارين الناطقين بالفرنسية، من بينهم الجنرال أحمد العسيري الضابط الذي تخرج من المدرسة الحربية سان سير في فرنسا.

إذا ما كان بإمكان محمد بن سلمان الاعتماد على أخيه غير الشقيق تركي، في داخل أسرته، الذي قدمه لأوساط رجال الأعمال، فإن هناك آخرين يمتعضون من تبجحه. أصبح وحيداً.

«إن أخاه غير الشقيق سلطان، مثلاً، والذي أنجبه سلمان من زوجته الأولى، لا يتفاهم بشكل جيد مع محمد بن سلمان، هذا ما كشفه مصرفي يتردد كثيراً إلى السعودية. ومن الجدير بالذكر أن سلطان هو شخص شاذ، إنه مولع بالفن والثقافة، وهو يرأس قسم السياحة والمتاحف. يوجد أيضاً

إخوة غير أشقاء لمحمد بن سلمان يعتريهم شعور بأنهم مهمشون من قبل محمد، إذ يتوجب عليهم المرور عبره للتحدث مع الملك».

يعود إلى محمد بن سلمان اتخاذ جميع القرارات المهمة، وذلك باعتباره رئيساً للجنة الشؤون الاقتصادية ولأرامكو «يجب أن يصادق محمد بن سلمان ومكتب الملك على جميع العقود التي تتجاوز مبلغ مئة مليون ريال (خمسة وعشرين مليون يورو). وواقع الحال هو أن مبلغ خمسة وعشرين مليون يورو هو فعلاً الحد الأدنى» هذا ما أبداه المصرفي من ملاحظة أن محمد بن سلمان يستأثر بكل مفاصل الاقتصاد في البلاد.

يستند محمد بن سلمان في عمله إلى ثلة من أفراد الطبقة المتوسطة، والتكنوقراطيين، وإلى كوكبة من الشباب، الذين ينتظرون نتائج حكمه. يحيط به شخصيات موثوقة: مثل عادل الطريفي، وزير الإعلام، وخالد الفالح، مدير الصندوق السيادي والوزير الجديد للطاقة الذي فتح له أبواب واشنطن، وفي البلاط الملكي أحمد الخطيب.

بعد أن نجح محمد بن سلمان بإزالة مجموعات مثل مجموعة ابن لادن وأوجيه السعودية، عمل على خلق وإبراز مجموعات أخرى مثل مجموعة زاميل ومجموعة نسمة في جدة التي يرأسها أحد مقربيه.

قرر محمد بن سلمان، بعد تسلمه مهامه مباشرة شن هجوم عسكري ضد المتمردين الحوثيين في اليمن، المدعومين من العدو الإيراني، حتى إنه كان مستعداً لإرسال قوات برية إلى اليمن: وهذا الحدث هو الأول من نوعه في السعودية المعروفة بحذرها وبحساباتها الدقيقة. علماً بأن ولي العهد محمد بن نايف، الذي كان يدير الملف اليمني منذ رحيل سلطان عارض القيام بهذه المغامرة الخطيرة عند الجار الجنوبي المضطرب أصلاً.

لقد تم شن الهجوم، الذي قاده تحالف بلدان عربية، بشكل متسرع، فلا حلفاء الرياض الباكستانيين ولا المصريين وافقوا على إرسال جنود.

وبعد انقضاء عام، وأمام خطر الانزلاق في حرب باهظة الثمن، قدم، بلا قصد، مساعدة للقاعدة ولداعش، قبلت أخيراً الرياض بإجراء مفاوضات مع المتمردين. حتى باراك أوباما لم يطلع على السر. وهذا يدل على أن محمد بن سلمان أراد، بدون أدنى شك، الانتقام من الأميركيين الذين رفضوا ضرب الأسد عام ٢٠١٣. لكن وعلى الرغم من كل التحفظات يدعم الأمريكيون، شأنهم في ذلك شأن الفرنسيين والبريطانيين، الهجوم السعودي .. إذ تبقى السعودية أكبر شارٍ للسلاح في العالم.

يجب عدم الذهاب بعيداً في دغدغة محمد بن سلمان في حربه باليمن[1]. أبدى وزير الدفاع الفرنسي جان إيف لودريان هذه الملاحظة خلال المحادثات التي أجراها معه حينما تجرأ على إعلان أن «الوضع في اليمن صعب».

«زار حينها محمد بن سلمان وأجاب حرفياً: «لن تستمر الأمور على هذا الشكل، سأدفع للسود كي يأتوا، وسنرى». وبالفعل فقد قاموا بتجنيد سنغاليين، وموريتانيين وسودانيين بالإضافة إلى تشاديين[2] .. باختصار شديد، يقوم الأمير الشاب أحياناً بردات فعل غير مضبوطة ولا يمكن السيطرة عليها.

أعلن محمد بن سلمان، في شهر كانون الثاني عام ٢٠١٦، عن انتشار تحالف إسلامي كبير ضد داعش يجمع أربعاً وثلاثين دولة. هذا الائتلاف هو، في الحقيقة، ائتلاف سني موجه ضد إيران. وها هي مرة أخرى تجري

---

(١) «تلقى محمد بن سلمان توبيخاً من والده بسبب فشله في اليمن، هذا ما كشفه دبلوماسي فرنسي مضيفاً أن محمد بن سلمان انزوى لمدة أسبوع في يخته بداية صيف عام ٢٠١٦».

(٢) لقاء مع ضابط رفيع المستوى في الأركان العامة - باريس، ٢٢ نيسان ٢٠١٦.

الأمور بدون تحضير جيد. وها هي دول إسلامية مثل ماليزيا، وأندونيسيا ودول إسلامية أخرى لم تُستشر ولم تطلع على التفاصيل العملاتية لهذا التحالف، ولم يُعرف أي شيء عن مخططاته العسكرية وقد انقضت ستة أشهر على انتشار التحالف. هل المقصود إرسال قوات إلى سورية؟ « هذا غير ممكن بدون التزام من الجانب الأمريكي» أوضح ذلك لاحقاً عادل الجبير، وزير خارجية المملكة العربية السعودية. والحال هذا معروف من قبل الجميع بأن الولايات المتحدة الأميركية لن ترسل إلى سورية آلاف الجنود طبقاً لآمال السعوديين. يمكن القول باختصار إن وعد محمد بن سلمان لا يلزم إلا من يريد تصديقه.. بمعنى آخر لا يلزم أحداً.

وفيما وراء الأزمة السورية، تغيّر كل الوضع الخارجي للمملكة العربية السعودية في غضون أشهر قليلة.

« يطرح محمد بن سلمان الأسئلة الجديدة، يوجز أحد المغتربين المقيم في الرياض. يقول محمد بن سلمان، نمتلك الإمكانيات المادية والتجهيزات العسكرية،فلماذا نحن نائمون؟ فلو لم ننتفِض، لكانت السعودية قد دخلت في رقاد وربما في غرق ».

خلافات محمد بن سلمان ومحمد بن نايف

تغيب ولي العهد، بداية عام ٢٠١٦، عن السعودية لعدة أسابيع. رسمياً، ذهب محمد بن نايف لصيد الحبارى في الجزائر، حيث تعود الذهاب إليها بشكل منتظم. لكن الحقيقة هي غير ذلك، غيابه هو حرد. ما هي الأسباب الكامنة وراء هذا الحرد؟ الجواب هو ربما بسبب خلاف جديد مع ابن عمه محمد بن سلمان.

ألهبت وقائع خلافاتهم العابرة لغطاً في الأوساط الدبلوماسية في الرياض، إلى درجة أن البعض أراد القول إن الأميرين لا ينظران بوجه بعضهما أثناء المصافحة.

أين نحن من الحقيقة؟ يصعب تكوين فكرة صحيحة عما يحاك داخل العائلة الحاكمة، وذلك نظراً للكتمان الشديد الذي يحيط بكل ما يتعلق بشؤونها. لكن لا يوجد دخان بدون نار، فشهية السلطة عند محمد بن سلمان تزعج ابن عمه الأكبر محمد بن نايف.

«الخلافات دائماً موجودة بين الأمراء، لكن، هذه المرة، بلغت درجة عالية جداً من العداوة، هذا ما أكده دبلوماسي فرنسي عائد للتو من السعودية. استأثر معسكر سلمان بالسلطة، عبر إضعاف بقية الأسرة المالكة. إن هذا يشكل بالضرورة خطراً»، أضاف الدبلوماسي.

تحدى محمد بن سلمان، بعد فترة قصيرة من تعيينه، محمد بن نايف من خلال استبعاد مستشاره السياسي الوفي، أحمد الجبري. في قطيعة مع التقاليد المتبعة في المملكة التي تقضي بأن يكون على رأس أرامكو اختصاصيّ في البترول، وأن لا يكون فرداً من أعضاء الأسرة الحاكمة، وضع محمد بن سلمان يده على الشركة البترولية العملاقة، مستصدراً مرسوماً ملكياً بتاريخ ٢٩ نيسان ٢٠١٥، بتسميته رئيساً جديداً للمجلس الأعلى للشركة. بقي الأخ غير الشقيق لمحمد بن سلمان، عبد العزيز، في منصبه كنائب لوزير النفط، وذلك من أجل تعزيز هيمنة جماعة سلمان على قطاع النفط. «هو واحد من أفضل الأدلاء السعوديين بما يتعلق بالمطاعم الباريسية، لكن معرفته بشؤون النفط قليلة» هكذا وصفه مختص بالشؤون الاقتصادية، ومقيم بالسعودية لأكثر من عشر سنوات.

لم يكن هناك حاجة لوقت طويل حتى تطفو على السطح الخلافات الدائرة داخل الأسرة المالكة، وهذا الأمر نادر جداً. فبعد تسعة شهور من جلوسه على العرش، دعا أحد الأمراء الملك سلمان إلى التخلي عن العرش مبرراً دعوته بإصابة الملك بمرض الزهايمر الذي يعاني منه. وقد وجه،

أيضاً، حفيد عبد العزيز، في رسالتين نشرتهما الصحافة، نقداً لاذعاً لمحمد بن سلمان الذي يحكم المملكة. «الملك ليس في وضع مستقر، وفي الواقع فإن ابنه هو الذي يدير شؤون المملكة. سيلتقي مع أربعة أوخمسة من أعمامي على جناح السرعة، وسيعملون على صياغة مخطط، بالتعاون مع عدد من أبناء العمومة، يفتح الباب للتغيير، فهناك العديد من أبناء الجيل الثاني يعتريهم القلق الشديد من الوضع السائد في المملكة». تضيف الرسالة التي وجهت دعوة إلى الثلاثة عشر ابناً الباقين على قيد الحياة للملك ابن سعود للاجتماع بهدف الإطاحة بسلمان، واختيار حكومة جديدة من داخل العائلة الحاكمة. يطلب صاحب الرسالة من الأميرين بندر و مقرن أن يقوما بالدعوة إلى اجتماع طارئ لإنقاذ البلاد. من الجدير بالذكر أن هكذا مبادرة لم تحصل في السعودية منذ الانقلاب على الملك سعود عام ١٩٦٤، الذي قاده فيصل. وقد ادعى صاحب الرسالة بأن مبادرته تلقى دعماً كبيراً داخل العائلة. لكن أميراً واحداً التزم في الواقع بهذه المبادرة.

استفاد المحتجون من التقويم مستغلين الإدارة السيئة جداً لمأساة مكة، التي ذهب ضحيتها آلاف من الحجاج أثناء التدافع المرعب[1] الذي حصل. لقد كانت هذه المأساة فرصة سانحة لتصفية حسابات بين الأمراء. في هذا الوقت أيضاً، بدأت تلوح في الأفق ملامح توتر جديد داخل العائلة: تمثل ذلك في الإصلاح الذي يتم التحضير له وهو فرض ضرائب على الأراضي الخالية. ومن المعروف أن جزءاً كبيراً من مداخيل الأمراء يأتي بالتحديد من الأراضي غير المستقلة التي تعود لهم ملكيتها.

«أحدث هذا الإصلاح أثراً مذهلاً بين أفراد العائلة المالكة، ذكر ذلك دبلوماسي أوربي في الرياض، موضحاً بأن الأمراء يكتفون بانتظار ارتفاع أسعار هذه الأراضي، وفجأة يُطلب منهم أن يقوموا باستثمار هذه الممتلكات

وقد ادعى صاحب الرسالة بأن مبادرته تلقى دعماً كبيراً داخل العائلة. لكن أميراً واحداً التزم في الواقع بهذه المبادرة.

استفاد المحتجون من التقويم مستغلين الإدارة السيئة جداً لمأساة مكة، التي ذهب ضحيتها آلاف من الحجاج أثناء التدافع المرعب[1] الذي حصل. لقد كانت هذه المأساة فرصة سانحة لتصفية حسابات بين الأمراء. في هذا الوقت أيضاً، بدأت تلوح في الأفق ملامح توتر جديد داخل العائلة: تمثل ذلك في الإصلاح الذي يتم التحضير له وهو فرض ضرائب على الأراضي الخالية. ومن المعروف أن جزءاً كبيراً من مداخيل الأمراء يأتي بالتحديد من الأراضي غير المستقلة التي تعود لهم ملكيتها.

«أحدث هذا الإصلاح أثراً مذهلاً بين أفراد العائلة المالكة، ذكر ذلك دبلوماسي أوربي في الرياض، موضحاً بأن الأمراء يكتفون بانتظار ارتفاع أسعار هذه الأراضي، وفجأة يُطلب منهم أن يقوموا باستثمار هذه الممتلكات أو أن يدفعوا ضرائب عليها. وهذه الضرائب هي نوع من الضرائب التي تفرض على الثروات وعلى الأمراء تسديدها». وهكذا يمكننا أن نفهم أن هذا الأمير الشاب صنع له، خلال فترة وجيزة جداً، كثيراً من الأعداء، خاصة إذا ما أضفنا إلى ذلك رغبة محمد بن سلمان في قصقصة أجنحة بعض المجموعات الصناعية المعروفة بقربها من الملك عبد الله.

وبحسب بعض المصادر، قد يكون محمد بن سلمان اكتشف أن من دبر الحملة الدعائية حول مرض والده بالزهايمر هو رئيس الديوان الملكي السابق خالد تويجري والأمير متعب. فقد تم وضع اليد على تسجيلات لمحادثات، تبرهن على شراء بعض الصحفيين لتلويث سمعة العاهل السعودي.

---

(١) أدى التدافع الذي حصل إلى وفاة ألفين وثلاثمئة شخص على الأقل، منهم أربعمئة وخمسون إيرانياً، وذلك في الحادي عشر من شهر أيلول ٢٠١٥.

وفيما وراء ذلك، هناك سؤال يطرح نفسه: ما هي قدرة الإيذاء التي يمتلكها هؤلاء الخاسرون جميعاً؟ وهل لديهم الإمكانيات لأخذ الثأر من أمير شاب مفعم بالطموح؟

هل يستطيع المدير السابق للاستخبارات السعودية حتى عام ٢٠١٤، بندر القيام بذلك؟ الجواب هو أن بندراً لم يعد في السعودية، هو مقيم في المغرب. ويتلقى معالجة لمرض في الكبد.

هل يقوم متعب، القائد السابق للحرس الوطني، بذلك؟

«متعب هو رجل ذكي. فهم أن عليه أن يصمت ويحيد كي يحمي نفسه، هذا ما لاحظه عسكري أوربي في الرياض. تحتاج السعودية إلى الحرس الوطني. لقد رأينا سابقاً كيف أن الحرس الوطني هو من قام بالعمل عندما حصلت مشاكل في اليمن. وتربط الأمير متعب علاقات جيدة مع ولي العهد محمد بن نايف».

هل يكون مقرن، ولي العهد السابق الذي تم استبعاده عند وصول سلمان؟

«كان الملك السابق عبد الله يرغب، حقيقة، أن يجعل من مقرن خلفاً له، يضيف العسكري. غير أن مقرناً لم يكن، هو نفسه، يرغب في الحكم، وكان يدرك جيداً أنه سيرفَض من قبل العائلة المالكة لأنه من أم كانت عبدة». وهذا ما يمنع وصوله إلى العرش، وذلك طبقاً لقواعد الخلافة.

أما فيما يتعلق بالأمير أحمد، فقد تم الاستغناء عنه، كما رأينا سابقاً، وكوفئ بسخاء. أخيراً الأمير طلال، المنفي إلى القاهرة، وولده الوليد بن طلال أدركا الحدود التي يجب عدم تجاوزها. عرض الوليد بن طلال تقديم السيارة الفخمة (بينتلي) لكل طيار حربي سعودي التزم الحرب ضد المتمردين الحوثيين.

«اتصل به محمد بن نايف ليبلغه أن العرض غير مقبول، وأن الطيارين هم جنود في جيش المملكة، وليسوا مرتزقة». هذا ما كشفه موظف سعودي عالي المستوى.

قلة من الخبراء ترى في ذلك انقلاباً، وأقل منهم يرى ثورة قصر. ولكي لا يتحول هؤلاء الأمراء إلى أعداء، كان يتم، بين الفينة والأخرى، إعادة الأمراء الخائبين إلى الحضن العائلي.

من المؤكد أن محمد بن سلمان يرنو إلى تعزيز دوره كولي لولي العهد، لأنه حتى اليوم يستمد شرعيته الوحيدة من والده. وليس لديه إلا قليلٌ من الوقت ليضع لنفسه شرعية خاصة به، أي إنه طالما والده، البالغ من العمر ثمانين عاماً، على كرسي العرش الملكي: لمدة سنتين، أو خمس سنوات، أو عشر سنوات كحد أعلى.

«يدرك محمد بن سلمان أن لا مصلحة له في الذهاب بعيداً في مكاسرة محمد بن نايف. وإذا ما حصل وسألنا أفراد العائلة المالكة الأعضاء في مجلس الولاء، فلن نجد شخصاً واحداً يصوّت لمصلحة محمد بن سلمان». هذا ما أكده سفير غربي في الرياض في غياب التفاهم بينهما، سيتقاسم المحمدان المهام تحت نظر الملك سلمان. أضاف السفير الغربي، بأن الملك سلمان يعرف أن عدداً من الأمراء احتجوا ضد ولده. أجل هناك الكثير من الغيرة من محمد بن سلمان، الذي عزل والده عن بقية أفراد العائلة الحاكمة. يجب أن لا يغيب عن بالنا، بأننا في بلد ملكي يحب شخصية الزعيم الرئيس القوي. يدرك الشعب، بالنسبة للوقت الحاضر، بأن البلد ممسوكٌ على الصعيد الأمني، وأن العائلة تقف مجتمعة إلى جانب محمد بن نايف. والسؤال الآن هل سينجح محمد بن سلمان أم لا في فرض نفسه وإثبات وجوده؟

في حال بلغ ذلك، فإنه يزيد من حظوظه في أن يصبح، ذات يومٍ، ملكاً، وإلا سيزاح. ومن الآن وحتى ذلك الوقت، ينتظره تحد آخر.

ثورة ما بعد البترول

تعتبر المملكة العربية السعودية بلد «الذهب الأسود» بامتياز، وهي البلد المصدر الأول في العالم للبترول. وقد بُني تطور السعودية الاقتصادي والاجتماعي على أساس الثروة النفطية. إنها صناعة واحدة تولّد أكثر من تسعين بالمئة من موارد الدولة، وبفضل هذه الهبة السماوية، فإن الأغلبية الساحقة من السعوديين يعملون كموظفين. غير أن الزمن قد تغير.

حذرت الإدارة العامة للخزينة، في بيان بتاريخ كانون الثاني عام ٢٠١٦، من «أن النظام التقليدي لدولة الرفاه الاجتماعي في بلدان الخليج لم يعد قادراً على تأمين التنمية في المملكة العربية السعودية».

انتقلت المؤشرات، في أكبر اقتصاد شرق أوسطي[١]، إلى اللون الأحمر. إذ إنّ هذه المرة هي الأولى في تاريخها التي تطلب فيها السعودية قرضاً اضطرارياً من الأسواق العالمية، وذلك من أجل تمويل عجز الميزانية لعام ٢٠١٦ أي ما يعادل ١٥% من الناتج المحلي الإجمالي، وهذا رقم قياسي — لكن دون أن يؤثر في سيولة المصارف السعودية، الملتمسة أصلاً لمنح قروض داخلية.

---

(١) تصنف المملكة العربية السعودية الاقتصاد التاسع عشر في العالم بناتج محلي إجمالي يقدر بستمئة واثنين وخمسين مليار دولار، أي ٤٥% من ناتج دول مجلس التعاون الخليجي. احتلت السعودية، عام ٢٠١٤، الصف الأول بين مصدري البترول في العالم، وهي تمتلك ١٨% من الاحتياطي العالمي من الذهب الأسود (الصف الثاني في العالم).

هبطت، عام ٢٠١٥، الواردات النفطية بنسبة ٢٣%، والواردات العامة بنسبة ٤١.٨%، بينما استمرت الحكومة السعودية في المحافظة على مستوى مرتفع من الإنفاق.

لقد قام الملك سلمان، حينما تولى كرسي العرش، بفك ربطة كيس المال، عندما قدم منحة رواتب شهرين لموظفي الدولة (التي تشكل نسبتهم ما بين ٨٠% و ٩٠% من السكان العاملين) وإلى العسكريين أيضاً. لقد بلغت كلفة هذه الهدايا الكريمة ثمانية وثمانين مليار ريال سعودي – أي: ما يعادل اثنين وعشرين مليار يورو –.

شنّ ابنه الشاب، بعد شهرين من تبوئه العرش، حرباً باهظة الثمن في اليمن، تقدر كلفتها الشهرية ما بين مليار وثلاثة مليارات دولار.

بالرغم من القلة التي تمر بها السعودية، لا بد من الإشارة إلى توضيح مهم، هو أن هذه القلة لم تطل وزارة الدفاع حيث حافظت على وتيرة المصاريف العسكرية التي تبلغ ٢٥% من الميزانية العامة لبلد يسكنه هاجس التهديد من كل حدب وصوب. أصبحت الزيادة النهائية باهظة التكاليف، وذلك لهبوط سعر البرميل وتراجع سعر الدولار الذي يرتبط تبديله بتبديل الريال.

«يمثل التوزع الجديد لسوق النفط فرصة سانحة، بشكل لا لبس فيه، وقد قررت السلطات السعودية عدم تفويتها وذلك بهدف إجراء الإصلاحات البنيوية الضرورية، التي تأخرت الإجراءات بشأنها كثيراً» تابع بيان الخزينة.

يجب على الدولة شد الأحزمة، هذا ما فعله محمد بن سلمان، خاصة فيما يتعلق بالإنفاق الاجتماعي. حيث أعلن الأمير الشاب، غداة اعتماد الميزانية، في التاسع والعشرين من كانون الأول عام ٢٠١٥، خفض المساعدات الحكومية في مجالات المياه، والكهرباء ومنتجات النفط، وذلك

لمدة خمس سنوات. إن هذه الإجراءات على درجة كبيرة من الحساسية، وذلك لأن السلطة في السعودية كانت دائماً حريصة على أن تكون أسعار هذه المواد في أدنى مستوى لها وذلك حفاظاً على السلام الاجتماعي.

« سيتلقى المواطنون، منذ الآن فصاعداً، فواتير كهرباء ومياه، وسيكون ذلك مؤلماً، هذا ما بينه أحد المغتربين، مضيفاً أن هذا يعني تراجعاً، بطريقة أو بأخرى، عن الميثاق الاجتماعي. شكل الميثاق الاجتماعي الضمانة لاستقرار البلد، و لاسيما فيما يتعلق بتوزيع الهبة السماوية الكبيرة نسبياً، حتى وإن ظلّ هناك عدم مساواة ».

ارتفع، عملياً، سعر ليتر البنزين بدون رصاص بنسبة ٣٥%(١). أما الإصلاحات التي طالت المياه فكانت حصتها في الزيادة ريالاً واحداً لكل مستهلك وهذه الزيادة تطال ٥٢% من المستهلكين، وقد أقرت الحكومة نظام الشرائح وأسعاراً تتم مراجعتها باستمرار. إن هذا الحذر يهدف إلى تقليل خطر انهيار الميثاق الاجتماعي. لقد وفرت هذه الاقتطاعات حوالي سبعة عشر مليار دولار لخزينة الدولة السعودية.إن من أكبر الدلائل على الأزمة خطيرة، هو أن شد الأحزمة ذهب أبعد مما كان متوقعاً في البداية.

« لقد ذكر حاكم المصرف المركزي، في مقابلة حديثة معه، عدداً من الإجراءات، التي هي بالتأكيد مهمة من حيث رمزيتها، إلا أن تأثيرها على الميزانية بقي ضعيفاً، على العكس من ذلك تماماً، تضمنت ميزانية عام ٢٠١٦، إجراءات بالغة الدلالة تؤثر بشكل مباشر في الطبقة الوسطى، مثل زيادة سعر البنزين غداة إعلان الميزانية».

تم إنجاز هذه الإجراءات على حساب تجميد وترحيل نفقات الاستثمارات خلال الأربعة أشهر الأخيرة في عام ٢٠١٥، وهذا ما ألحق

---

(١) حذت المملكة العربية السعودية حذو الإمارات العربية المتحدة، التي كانت عام ٢٠١٥ السباقة بين المملكات النفطية في تحرير أسعار البنزين.

ضرراً كبيراً في قطاع البناء، مثيراً امتعاض الموظفين والمقاولين بشكل كبير، خاصة أولئك الذين لم يقبضوا رواتبهم منذ ستة أشهر.

أعلن محمد بن سلمان، في العشرين من نيسان عام ٢٠١٦، رؤيته الاقتصاد السعودية حتى عام ٢٠٣٠، جاء ذلك بعد ما كشف عن الخطوط العريضة لسياسته لوسائل إعلام أميركية وبريطانية. يهدف محمد بن سلمان في سياسته إلى ربط تنويع النشاطات، ولاسيما باتجاه خدمات تقدم قيمة مضافة وباتجاه السياحة، عبر تطوير القطاع الخاص، حيث يفترض أن يبلغ ٦٥% بدلاً من ٤٠% حالياً من الإنتاج المحلي الإجمالي، خاصة فيما يتعلق بالشركات الصغرى المتوسطة. سيتم تأمين تمويل هذا الانتقال بشكل رئيسي من خلال إحداث الصندوق السيادي، وهو الأول من نوعه في العالم، مجهزاً بقوة مالية ضاربة بمقدار ألفي مليار دولار. ستتكون مصادر هذا الصندوق من مدخرات الأموال المالية (خمسمئة وأربعة وتسعون مليار دولار) ومن فتح رأسمال شركة أرامكو (تحويل ٥% من ملكيتها في مرحلة أولى، وتقدر بمبلغ يتراوح بين مئة ومئة وخمسين مليار دولار) وذلك في إطار الطلب من المستثمرين الدوليين.

إنها ثورة مصغرة ستستلزم بشكل خاص قدراً كبيراً من الشفافية في إدارة العملاق النفطي الذي بلغته أرامكو.

لم يعد، بحسب رأي المختصين، أمام السعودية خيارات، فقد أصبحت التحديات التي تواجهها أكثر حدة. أهم هذه التحديات هي ازدياد عدد الشباب، إذ يصل سنوياً إلى السوق ثلاثمئة ألف شاب سعودي. أكثر من ٣٠% من الشباب السعودي عاطل عن العمل. تشكل هذه الأرقام قنبلة ديمغرافية حقيقية.

ينوي محمد بن سلمان أيضاً جعل الإدارة أكثر إنتاجية، وإدخال ضرائب مثل TVA، وإعادة النظر في المساعدات المقدمة لقطاع الطاقة، وكذلك خصخصة و«سعودة» - جعلها سعودية بحت - الوظائف.

«إن كل هذا ليس بالأمر السهل، هذا ما سلم به خبير اقتصادي في الرياض. يخاطب محمد بن سلمان جيل الشباب بأن عليهم أن يعملوا، ويقول للآخرين إنّ عليهم، منذ الآن فصاعداً، أن يدفعوا الضرائب». أما فيما يتعلق بقطاع الأعمال، فقد بقي محمد بن سلمان في مجال التوقعات.

إنها ثورة مصغرة في العقليات وفي بلد يرنو فيه الشباب إلى أن يكونوا ذات يوم موظفين كما كان آباؤهم.

«السعوديون هم تجار ورحالة لم يتعودوا على العمل منذ أن هبطت عليهم نقمة الهبة النفطية عام ١٩٥٠ حيث تم تأسيس المملكة العربية السعودية الحديثة»، أضاف الخبير الاقتصادي. «يعترف موظف سعودي سابق بأنه كان لديه ثلاث خادمات فلبينيات، لماذا لم تقم بهذا العمل سعوديات؟ ».

هكذا تساءل، من على شرفة دارته في الرياض، هذا الدبلوماسي القديم الذي، شأنه في ذلك شأن سائر الأعيان السعوديين، يملك شقة في الدائرة السادسة عشرة في باريس.

عمد محمد بن سلمان في انطلاقته التحديثية إلى تجنيد العشرات من الخبراء الذين يعملون في كبريات المكاتب الاستشارية، و لاسيما الأميركية، مثل ماكنسي من مجموعة وسطن الاستشارية، وحتى الفرنسي جاك أتالي «يهودي جزائري في بلاد آل سعود» . قال، هكذا، ساخراً مغترب قديم.

«إن أولوية محمد بن سلمان، بحسب رجل أعمال فرنسي يتردد كثيراً على الرياض، تكمن في إغراء واشنطن بأن تأخذ مصداقيته على محمل الجد لديها. أما ما يتعلق بنا نحن الفرنسيين فإن أهميتنا ثانوية بالنسبة له. يطمح محمد بن سلمان بأن يقنع الأميركيين بأنه يمكن أن يكون خلفاً ذا مصداقية لوالده. ولا أدل على ذلك من تعدد اللقاءات مع الصحافة الأميركية».

يتوجه محمد بن سلمان، مسلحاً بصندوقه السيادي الضخم، إلى المؤسسة المالية التي تسيطر على أمريكا، قائلاً لها إن السعودية هي الألدورادو «الحديقة الغناء الثرية» وليس إيران. يأمل محمد بن سلمان من وراء ذلك أن تشكل هذه المؤسسة جسراً يربطه بالساسة الأمريكيين، ولسان حاله يقول لهم «المملكة العربية السعودية ليست كما تظنون».

أقلعت، من جهة أخرى في مجال الإدارة، ماكينة ضخمة للتغيير، فقد وجب على سبع وعشرين وزارة ووكالة حكومية تقديم مقترحات، حاذياً بذلك حذو صديقه الشيخ محمد في أبو ظبي، حتى إنه ينوي تأسيس حكومة إلكترونية، وفرض مؤشرات على أداء الموظفين.

أما أولئك الذين كانوا يأملون بتحقيق إنجازات اجتماعية فقد خيب محمد بن سلمان آمالهم. اللهم ما عدا الوعد الذي قطعه بشأن مكانة المرأة العاملة، التي، بحسب الوعد، سترتفع نسبتها من ٢٠% إلى ٣٥%، لكن الأمير الشاب لم يعلن أي شيء بهذا الخصوص حتى الآن. لن يكون هناك افتتاح لدور سينما ولا لمسارح ولا لمتاحف، وذلك مع أن محمد بن سلمان اعترف بالخلل الذي يعتري هذا الواقع إذ أعلن في لقاء مع التلفزيون المحلي: «مع أننا نُعتبر جوهرة الإسلام، فإننا لا نملك ولا حتى متحفاً إسلامياً».

ستشكل هكذا إحداثات ثورة في بلد تُحرِّم فيه النظرية الوهابية كل أشكال التجسيد. وإذا لم يتعرض محمد بن سلمان إلى هذه الأمور، فلأنه يجب عليه التفاوض، بشأن هذا الانعطاف المجتمعي، مع المؤسسة الدينية التي تلقت صفعة بإعادة تصويب المطوعين وإلزامهم بالاستقامة.

إن مقاومة هذه التغييرات لا بد أن تظهر مع أن العلماء الإسلاميين أعطوا مباركتهم لها. ففي شهر نيسان عام ٢٠١٦ تم إقصاء الوزير المسؤول عن قطاع الكهرباء، لأن خفض المساعدات في هذا المجال واجه الكثير من الصعوبات التطبيقية. وذلك إذا ما أضفنا إلى ذلك أن هناك شكوكاً جدية

حول الجدوى من هذه الإصلاحات التي أطلقها محمد بن سلمان، حتى داخل الأسرة المالكة آل سعود التي تعيش فترة ضبابية تخيّم على الأسواق النفطية.

«لن يهدم الملك سلمان وابنه محمد كل شيء، فهما يدركان أن الشعب السعودي لا يمكنه القبول، بين ليلة وضحاها، بالقيام بأعمال مصنفة غير لائقة بهم»، هذا ما كشفه السفير الفرنسي في الرياض برتراند بوزاتسنو، الذي أضاف: «أنا متأكد ومقتنع بأن الملك سلمان سيدرك في لحظة ما أن هذه الإجراءات ستعرض العهد الاجتماعي للخطر، وسيرخي شد الأحزمة مرة أخرى». وفي هذا الصدد، فقد تم تجهيز مغلف خاص يحتوي على مئة وثلاث وثمانين مليار ريال من الميزانية، وذلك لاستخدامه في حال تدهور سعر البرميل من النفط. يعني هذا الإجراء، رسمياً، المحافظة على الاستثمارات، والتأهب لدرء أي خطر اجتماعي في حال حصوله.

يلخص بيان الخزينة ذلك بالآتي: «يحرص محمد بن سلمان، من أجل تعميق شرعيته داخل الأسرة الحاكمة، على إنجاح سياسة التحديث في الاقتصاد السعودي. يرتبط نجاح هذا الانتقال بقدرة محمد بن سلمان على إدارة هذا المنعطف الاستراتيجي دون إحداث أي انفجار اجتماعي»، إلى هذا خلص بيان الخزينة مشيراً إلى أن محمد بن سلمان يحضّر نفسه لإمبراطورية مصغرة آملاً في ذلك الوصول يوماً ما إلى عرش المملكة العربية السعودية.

كريستيان شيسنو

جورج مالبرينو

باريس - 2016